الفصل الخامس

المهن والحرف فى القرآن الكريم

ويشتمل هذا الفصل على :

* الزراعة .
* الخبز وطحن الحبوب .
* الرعى .
* حلب اللبن من الماشية [الحلابة] .
* التجارة .
* الدباغة والحرف الجلدية .
* الأحذية .
* الاحتطاب والاتقاد .
* صناعة النسيج والحياكة والألبسة .
* الطباعة والنقوش .
* التنجيد .
* الصباغة .
* النجارة .
* صناعة المعادن .
* السباكة .
* الصياغة .
* صناعة النقود .
* البناء والعمارة .
* الصيد .
* السقاية .
* الجزارة .
* الشواء .
* الحلاقة .
* الإرضاع .
* الحفر .
* حفر القبور .
* السرج .
* التجسس .
* الخدمة .
* البريد .
* السجان .
* الفخار .

obeikandl.com

obeikandl.com

المهن والحرف فى القرآن الكريم

مقدمة :

سيظل القرآن والسنة هما مصدرا التوجيه والإرشاد فى حياة المسلمين ، وسنرى خلال هذا الفصل كيف لفت القرآن الكريم أنظار أتباعه إلى أهم الحرف والمهن من خلال الحديث عن تلك الحرف تارة ، وضرب الأمثلة المستمدة من تلك الحرف تارة أخرى ، والحديث عن مكونات تلك الحرف والمهن تارة ثالثة ، كل ذلك فى اتباع قرآنى يؤكد للمسلمين أهمية تلك الحرف والمهن وضرورتها فى حياة الفرد والمجتمع .

بيان ذلك :

الزراعة :

مهنة الزراعة قديمة جداً وقد اشتغل بها العرب قبل الإسلام ويسجل ذلك القرآن الكريم فى قول الله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (٩) ﴾ [الروم] ،والمعنى : « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا ببصائرهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة ؛ لأنهم قلبوا الأرض للزراعة (لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث) وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء ، فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم » (١) .

كما يستدل من الآية السابقة على أن الزراعة قوة للبلدان والمجتمعات ويسجل القرآن الكريم إشارة أخرى على أن قوم موسى عليه السلام كانوا أهل زرع فيقول الله تعالى على لسان موسى : ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** (٧١) ﴾ [البقرة] ، والمعنى : « أنها بقرة عير مذللة للعمل الزراعى الكامل » (٢) ، ولقد عرف العرب الجاهليون الزراعة أيضاً ، وإن كان « الاشتغال الفعلى بالزراعة وفلاحة الأرض واستغلالها ينظر إليه بصورة عامة نظرة ازدراء وعدم تقدير » (٣) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٩ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .

ولم تكن تلك النظرة تمنع البعض من الاشتغال بالزراعة ، إذ « ثبت أن أهل اليمن قد استغلوا الجبال والمناطق المرتفعة فزرعوها بمختلف المزروعات التى تلائم طبيعتها » (١) كما « اشتهرت الطائف بزراعة نوع من الحنطة الجيدة فضلاً عن شهرتها بزراعة الفواكه » (٢) ، ويمكننا القول بأن « الزراعة كانت ولا تزال عماد ثروة اليمن وبقية جزيرة العرب ورأسمالها الأكبر فى حياتها » (٣) .

اشتغال المسلمين الأوائل بالزراعة :

لقد كان العرب أصحاب زرع ونخل ، ويتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٤٥) ﴾ [البقرة] ، « عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح: يا رسول الله ، أو أن الله تعالى يرد منا القرض ؟ قال:« نعم يا أبا الدحداح » ، قال : أرنى يدك ، قال : فناوله ، قال : فإنى أقرضت الله حائطاً فيه ستمائة نخلة ، ثم جاء يمشى حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله،فناداها ،يا أم الدحداح ، قالت لبيك . قال:اخرجى ، قد أقرضت ربى عز وجل حائطاً فيه ستمائة نخلة . قالت أم الدحداح : ربح بيعك » (٤) .

إننا لا نستدل بتفسير الآية لنبرهن على نماذج مسلمة تصدقت لله ، لكننا نريد أن نؤكد من خلال التفسير على اشتغال المسلمين بالزراعة ،وتملكهم البساتين ويقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** (٢٦٧) ﴾ [البقرة]،وقوله: ﴿ **مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ** ﴾ يعنى:« النبات والمعادن والركاز » (٥) .

ومما يدل على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أصحاب زرع قول ابن عمر : «يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع »(٦) ، كما يتبين ذلك من قول الله تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٦٥) ﴾ [النساء] ، « وقد نزلت هذه الآية فى الزبير مع الأنصارى ، وكانت الخصومة فى سقى بستان ، فقال عليه السلام للزبير : « اسق أرضك ثم أرسل الماء

---

(١) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢١٥ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢١٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٧٣ .

إلى أرض جارك » (١) .

ومما يدل أيضاً على اشتغال العرب والمسلمين الأوائل بالحرث قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)** ﴾ [آل عمران] ، «والحرث هنا اسم لكل ما يحرث ، تقول العرب : حرث الرجل حرثاً إذا أثار الأرض بمعنى الفلاحة ، فيقع اسم الحراثة على زرع الحبوب وعلى الجنات وغير ذلك من نوع الفلاحة » (٢) .

الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها :

وردت الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها خلال آيات القرآن الكريم ، ليزداد المسلمون حرصاً على تنفيذها والالتزام بها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥)** ﴾ [يس] .

والنبات من أهم عناصر البيئة الطبيعية الحية ، والتى خلقها الله لنفع الإنسان نفعاً جماً ، وذلك بما يخرجه النبات من أكسجين وما يأخذه من ثانى أكسيد الكربون ، كما أن للنبات أهمية عظمى ، فهو مصدر رئيسى لغذاء الإنسان والحيوان : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ (٥٤)** ﴾ [طه] ، ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ (٢٧)** ﴾ [السجدة]

الدعوة إلى تعمير الأرض :

إن الدعوة إلى تعمير الأرض والانتشار فى بقاعها بغية التماس الرزق والعمل لتظهر واضحة فى التربية الإسلامية ، فالله قد مهد الأرض وجعلها صالحة للحياة ليعمرها بنو البشر بالزراعة وغيرها ، ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)** ﴾ [الملك] ، ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠)** ﴾ [الأعراف] .

لذلك وجب على المسلمين الامتثال لهذه الدعوة وتنفيذها « ولو يعلم المسلمون وأبناء المسلمين ما أعد لهم فى إحياء الأرض ما ترك المسلم بقعة من الأرض دون إحياء

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

رجاء الثواب المدخر عند الله » [1] .

النهى عن إهلاك النبات وقطع الأشجار :

لقد بدا النهى عن إهلاك النبات وقطع الأشجار واضحاً فى القرآن الكريم ، إذ كان هذا السلوك من صفات وعلامات المنافقين المبغوضين عند الله ،والمفسدين فى الأرض ، حيث يقول تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)** ﴾ [البقرة] .

آيات فى الزراعة تقوى الإيمان بالله :

هناك إشارات إلى تثبيت العقيدة فى النفوس من خلال بعض الآيات التى نزلت فى شأن الزراعة والتى أشار إليها القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)** ﴾ [الواقعة] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥)** ﴾ [الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)** ﴾ [عبس] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)** ﴾ [الأنعام] .

وفى هذه الآيات السابقة يسند الله سبحانه وتعالى الزراعة إلى إرادته وقدرته لما فيها من المعجزات ما يكفى لأن يؤمن الإنسان إذا فكر فيمن يقدر على إعادة الحياة إلى الأرض بعد موتها وإلى الحبة بعد زرعها وريها ، وفيمن يجعل الجذر يندفع إلى أسفل بعيداً عن الشمس والهواء ، والساق يرتفع إلى أعلى ضد جاذبية الأرض ، ومع ذلك يمتص من عناصر التربة والماء ما يلائمه للنمو .

هذه المعجزات التى تقع تحت نظر الإنسان أدل دليل على أن الله وحده هو الزارع وعلى أن الزراعة أعظم فروع الإنتاج .

العوامل المؤثرة فى الزراعة :

لا يكتفى القرآن الكريم بالإشارة إلى الزراعة فقط ، بل يشير فى إشارات كثيرة إلى

---

(١) محمد عبد المنعم الجمال : موسوعة الاقتصاد الإسلامى ودراسات مقارنة ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١١٠ .

العوامل التى تؤثر فى الزراعة ، نماءً أو حسناً ، وفى ذلك ما يلفت نظر المسلمين إلى أهمية تلك العوامل وتدبرها ومحاولة الاستفادة منها فى حياتهم الزراعية ومن تلك العوامل التى أشار إليها القرآن ما يلى :

الهواء :

يعتبر الهواء قمة ضروريات الزراعة ؛ ولهذا خلقه الله فى كل مكان وجعله بالمجان لضرورته للإنسان والحيوان والنبات ، إذ إنه يلقح النباتات ، وفى رفع بخار الماء إلى السماء حيث تتكون السحب التى يحملها الهواء ، ولينقلها إلى المكان المعد لنزول الأمطار بإرادة الله وقدرته ورحمته فينبت الزرع .

قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ** (٩) ﴾ [فاطر] ، والمعنى : « أن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها أنبتت من كل زوج بهيج » (١) ، وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** (٤٣) ﴾ [النور] .

أى : « أن الله يسوق السحاب ضعيفاً ثم يجمعه ثم يركب بعضه بعضاً فترى المطر يخرج من خلاله » (٢) فيكون سبباً فى إحياء الأرض الموات ، وقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٤٦) ﴾ [الروم] .

إنها « نعمة من الله على خلقه فى إرسال الرياح مبشرات بمجىء المطر الذى ينزله فيحيى به البلاد » (٣) .

والهواء يحمل السحاب إلى أن ينزل المطر حيث يشاء رب العالمين : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (٥٧) ﴾ [الأعراف] ، فالهواء هو الذى يحمل الماء على شكل سحب ينقلها من مكان إلى مكان حيث ينزل إلى الأرض لينبت به الزرع ، ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٤٨ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٦ .

مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) ﴾ [الفرقان] .

والهواء يحمل حبوب اللقاح فيخصب أكثر النباتات : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) ﴾ [الحجر] ، وبذلك « كان الهواء من ضمن وسائل تلقيح النباتات ؛ لأنه يحمل حبوب اللقاح من أعضاء تذكير النباتات إلى أجهزتها الخاصة بالتلقيح » (١) .

والرياح تدفع السفن الشراعية عبر البحار : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) ﴾ [يونس] .

ولقد وردت لفظة « ريح » فى أربع عشرة آية قرآنية (٢) ، منها ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) ﴾ [الأحقاف] ، ووردت لفظة « ريحاً » فى أربع آيات قرآنية ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) ﴾ [القمر] ، كما وردت لفظة « ريح » مسندة إلى الضمير ،كما فى قوله تعالى :﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال] .

المـــــاء :

تنقسم مياه الأمطار إلى :

١ ـ **المياه السطحية** : وتوجد بالأنهار والبحيرات العذبة ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الرعد] ، ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [نوح] .

٢ ـ **المياه الجوفية** : وهى المياه التى تستقر تحت الأرض مثل الآبار والعيون : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) ﴾ [الزمر] .

---

(١) حمزة الجميعى الدموهى : عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٤١٤ .

ويمن الله سبحانه وتعالى على عباده أن « أنزل من السماء ماء كثير البركة فأنبت به بساتين وكل زرع يحصد ، ونخل طوال مستويات » (١) ويتبين لنا ذلك من خلال آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [ق] .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ [طه] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت] .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام] .

وفى الآيات السابقة إشارة إلى فضل الله سبحانه وتعالى على الناس أن أنزل المطر فأخرج من الأرض كل صنف من النبات والخضر .

والمسلم يدرك أن أمر نزول المطر لم يترك بلا ضوابط ؛ لأن الله مالك هذا الماء ووارث هذا الكون ينزل الماء بقدر وحساب ليشرب منه الأحياء ولاستنبات الأرض ليستمر بقاؤهم على الأرض ، وفى هذا يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزخرف] ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون] .

والواجب على كل إنسان أن يشكر ربه على نعمة الماء الذى لا غنى عنه لحياة الزرع ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة] .

ولحرص الإسلام على توجيه الأبصار إلى الماء وفائدته فقد أورده فى آيات قرآنية

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٦ .

كثيرة ، ومن ذلك ما يلى :

الماء : ورد ذكر الماء فى تسع وخمسين آية قرآنية [١] ، منها قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** (٣٠) ﴾ [الأنبياء] .

كما ذكرت لفظة « الماء » مسندة إلى الضمائر المختلفة ، ومن ذلك :

ماءك : ورد ذكر « ماءك » فى آية قرآنية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (٤٤) ﴾ [هود] .

ماءها : ورد ذكر هذه اللفظة فى آية قرآنية واحدة ، هى قوله تعالى : ﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا** (٣١) ﴾ [النازعات] .

ماؤكم : ورد ذكر « ماؤكم » فى آية قرآنية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** (٣٠) ﴾ [الملك] .

ماؤها : ورد ذكر هذه اللفظة فى آية قرآنية واحدة ، هى قوله تعالى : ﴿ **أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا** (٤١) ﴾ [الكهف] .

الأنهار :ورد ذكر « الأنهار » فى سبع وأربعين آية قرآنية منها : ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٥) ﴾ [البقرة] ، وورد لفظة « أنهاراً » فى أربع آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ **أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** (٦١) ﴾ [النمل] .

البحر : ورد ذكر «البحر» فى ثلاث وثلاثين آية قرآنية [٢] منها قوله تعالى:﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** (٦٦) ﴾ [الإسراء] .

وورد ذكر « البحار » فى آيتين اثنتين منها قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** (٦) ﴾ [التكوير] ، وورد ذكر « أبحر » فى آية قرآنية واحدة : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ**

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٨٥٧ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ١٤٥ .

أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) ﴾

[لقمان]

كما ذكرت لفظة « بحران » فى آية واحدة ، هى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾

[فاطر]

كما ورد ذكر لفظة « البحرين » فى أربع آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ [الرحمن] .

الأرض : الأرض هى المقر الثابت للحياة ، فمن هوائها يتنفس الإنسان وسائر الأحياء من حيوان ونبات ، ومن مائها الذى يجرى فى أنهارها وبحيراتها وينابيعها يشرب الإنسان وسائر الأحياء ،ومن زرعها الذى ينبت فى تربتها يأكل الإنسان مختلف الثمار ، وفى دروبها ومسالكها يتنقل الإنسان سعياً وراء الرزق ، وفى بحارها تجرى الفلك بإذن ربها (١) .

الأرض هى موطن استمرارية الحياة ، خلقها الله بأمره وسخرها بكل ما عليها وما فيها وما حولها لاستمرارية حياة الإنسان ، فالأرض مهدت وبسطت لتكون صالحة لسكنى الإنسان واستقراره ولسعيه فى دروبها وراء رزقه الذى قدره الله: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) ﴾ [طه] ، ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠) ﴾

[نوح]

وقد ثبت الله الجبال على الأرض لتحفظها من الاضطراب : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) ﴾ [الانبياء] .

ولقد هيأ الله للإنسان تربتها لتكون صالحة لاستثمارها بالزراعة ، ومن الآيات التى تحدثت عن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) ﴾ [عبس] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا

---

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية التربية بدمياط ، قسم أصول التربية ١٩٩٠ ، ص ١٦٨ .

وَمِـن كُـلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الرعد] ، ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) ﴾ [الحجر] .

وتختلف المحاصيل من مكان لآخر تبعاً لاختلاف التربة ، فى اللون والحجم والشكل والطعم والرائحة والمنفعة رغم وحدة عناصر الأرض التى ينمو فيها ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض الآيات التى تشير إلى التربة كعامل من عوامل الإنتاج الزراعى ، يقول تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ (٥٤) ﴾ [طه] .

وقـال تعـالـى : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) ﴾ [النازعات]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾ [يونس] ، وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) ﴾ [يس] .

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يسر لنا الأرض وجعلها صالحة للزراعة ، وجعل فى الأرض بساتين لنأكل من ثمرها ومما غرسته أيدينا من الثمار ، لعلنا نشكره .

وفى هذا بيان على كمال قدرة الله بإخراج النبات من الأرض ، وبيان لمدى أهمية التربة فى الإنتاج الزراعى .

ولقد وردت لفظة « الأرض » فى حالاتها الإعرابية الثلاثة فى عدد كبير من الآيات القرآنية مما يدل على مدى الأهمية العظمى للأرض ويتضح ذلك فيما يلى :

الأرضُ : فـى حالة الرفع ورد ذكرها فى أربع وثلاثين آية قرآنية (١) ، منها قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) ﴾ [الزلزلة] .

الأرضَ : فـى حـالة النصب ورد ذكرها فى ست وثمانين آية قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) ﴾ [الأنعام] .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٣٤ .

الأرض : فى حالة الجر ورد ذكرها فى ثلاثمائة وإحدى وثلاثين آية قرآنية [١] منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ** ﴿٥﴾ ﴾ [آل عمران] .

وعلى هذا تكون الأرض قد ذكرت فى أربعمائة وإحدى وخمسين آية قرآنية مما يؤكد على أهميتها للإنسان .

ومما يؤكد حرص الإسلام على دعوة المسلم إلى استنبات الأرض ، كثرة ما ورد فى القرآن الكريم من ذكر الأشجار والنخل والزرع ومن ذلك ما يلى :

الزرع : ورد ذكر الزرع والزروع فى عشر آيات قرآنية [٢] كان منها قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم] .

النخل : ورد ذكر النخل فى عشر آيات قرآنية [٣] كان منها قوله تعالى : ﴿ **وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ** ﴿١٠﴾ ﴾ [ق] .

كما ورد لفظ نخلاً فى آية واحدة ﴿ **وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً** ﴿٢٩﴾ ﴾ [عبس]، والنخلة مرتين منها قوله تعالى : ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم] ، كما ورد لفظ نخيل سبع مرات كان منها قوله تعالى : ﴿ **وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل] .

الشجر : ورد ذكر الشجر فى « ست » آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ** ﴿١٠﴾ ﴾ [النحل] .

وورد ذكر « الشجرة » فى ثمان عشرة آية قرآنية [٤] منها ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص] ، ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ** ﴿٤٣﴾ **طَعَامُ الأَثِيمِ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [الدخان] .

وورد ذكر « شجرها » فى آية واحدة فى قوله تعالى : ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل] ، وورد ذكر « شجرتها » فى آية واحدة أيضا فى قوله تعالى : ﴿ **أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ** ﴿٧٢﴾ ﴾ [الواقعة] .

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٣٧ .
(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٤١٩ .
(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٨٦٣ .
(٤) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٤٧٦ .

الثمر : ورد ذكره فى آية واحدة [1] فى قوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** (٣٤) ﴾ [الكهف] ، كما ورد لفظ « أثمر » مرتين منها : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (٩٩) ﴾ [الأنعام] ، كما ورد لفظ « ثمره » أربع مرات منها قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** (١٤١) ﴾ [الأنعام] .

ووردت لفظة « ثمرات » فى ست عشرة آية قرآنية منها : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** (٣٧) ﴾ [إبراهيم] .

التين : ورد ذكر التين فى آية واحدة فى سورة التين وهى : ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** (١) **وَطُورِ سِينِينَ** (٢) ﴾ [التين] .

الزهرة : ورد ذكر الزهرة فى آية قرآنية واحدة فى قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** (١٣١) ﴾

[طه]

الوردة : ورد ذكر الوردة فى آية قرآنية واحدة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ** (٣٧) ﴾ [الرحمن] .

الحب : ورد ذكر « الحب » فى ثلاث آيات قرآنية [2] منها قوله تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ** (٩) ﴾ [ق] ، كما ورد لفظ « حباً » فى ثلاث آيات قرآنية منها : ﴿ **ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً** (٢٦) **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً** (٢٧) ﴾ [عبس] ، كما ورد لفظ « حبة » فى خمس آيات قرآنية منها : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ**

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٢٠٤ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٢٤٥ .

وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة] .

الزيتون : ورد ذكر الزيتون فى أربع آيات قرآنية [١] منها قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)** ﴾ [الأنعام] ، كما ورد لفظ « زيتوناً » مرة واحدة فى قوله تعالى : ﴿ **وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩)** ﴾ [عبس] ، كما ورد لفظ « زيتونة » مرة واحدة أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)** ﴾ [النور] .

العنب : ورد ذكر العنب فى آية واحدة [٢] هى قوله تعالى : ﴿ **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١)** ﴾ [الإسراء] ، كما ورد لفظ « عنباً » مرة واحدة فى قوله تعالى : ﴿ **وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)** ﴾ [عبس] ، كما ورد لفظ « أعناباً » فى ثمانى آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)** ﴾ [يس] ، كما ورد لفظ « أعنابا » مرة واحدة فى قوله : ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢)** ﴾ [النبأ] .

الفاكهة : ورد ذكر الفواكه فى ثلاث آيات قرآنية [٣] منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)** ﴾ [المرسلات]، كما ورد لفظ «فاكهة » إحدى عشرة مرة منها قوله تعالى : ﴿ **فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)** ﴾ [الرحمن] ، وقد وردت بعض المنتجات الزراعية مرة واحدة فى آية قرآنية واحدة هى ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)** ﴾ [البقرة] .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٤٢٤ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٦٢١ .

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٦٦٧ .

تعميق إدراك الإنسان بعناصر البيئة الزراعية والإحساس بها :

لم تقتصر التربية الإسلامية على تعريف المسلم بعناصر بيئته الزراعية فحسب . بل لجأت إلى تعميق إدراكه وإحساسه بهذه العناصر ، وتعريفها إليه حتى يلتمس السبل الصحيحة للتعامل معها .

ومن أهم أساليب التربية الإسلامية لتعميق إدراك الإنسان بعناصر بيئته الزراعية توثيقاً لعلاقته بها :

أ ـ ضرب الأمثال والتشبيه بعناصر البيئة الزراعية .

ب ـ القصص القرآنى ودور عناصر البيئة الزراعية فيه [1] .

أ ـ تعميق إدراك الإنسان بعناصر الزراعة من خلال ضرب الأمثلة القرآنية :

اتخذت التربية الإسلامية أساليب تربوية كثيرة مثل : القدوة والقصص القرآنى وغيرها ، وضرب الأمثال من الأساليب التربوية التى اتخذتها التربية الإسلامية تحقيقاً لأهدافها وغاياتها السامية ، والأمثال القرآنية ليست مجرد عمل فنى يقصد من ورائه الرونق البلاغى فحسب ، بل إن لها غايات تربوية ونفسية عديدة من أهمها :

١ـ تقريب المعانى إلى الأفهام ، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية .

٢ ـ إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى ، وتربية العواطف الربانية ، فالأمثال القرآنية دوافع تحرك الوجدان والعواطف ، فتندفع الإرادة نحو الخير واجتناب المنكر .

٣ ـ تربية العقل السليم على التفكير الصحيح والقياس المنطقى السليم [2] .

ولقد وجدت التربية الإسلامية فى عناصر البيئة الزراعية حقلاً خصباً فى مجال ضرب الأمثال وعقد التشبيهات ، فاستعانت بها فى تبسيط الحقائق وتقريبها إلى أذهان المسلمين ليتم لهم إدراكها واستيعابها . وفى تثبيت القيم والمبادئ التى كانت تحرص على تأصيلها فى نفوسهم [3] .

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾

[إبراهيم]

﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ [العنكبوت] .

---

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ص ١٧٢ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٣ ، ص ٢٤٦ .

(٣) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ص ١٧٣ .

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ (١٧) ﴾ [الرعد] .

الأرض :

استخدمت التربية الإسلامية الأرض فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات ، ومن الآيات القرآنية التى تضمنت ذلك :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) ﴾ [البقرة] .

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) ﴾ [الإسراء] .

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ [البقرة] ، « وفى هذا تشبيه المرأة بالأرض،والنطفة كالبذر ، والولد بالنبات » (١) .

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) ﴾ [البقرة] ، « والجنة : البستان ، وهى قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها ، والربوة المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً » (٢) .

الماء :

كان للماء دور كبير فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات فى التربية الإسلامية ، ومما جاء فى القرآن الكريم من ذلك :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ [الكهف] .

والمعنى : « أن الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض حتى استوى فأصبح النبات منكسراً من اليبس متفتت تطير به الرياح » (٣) .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩٣ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤١٣ .

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾

[يونس]

والمعنى : « التشبيه والتمثيل ، أى صفة الحياة الدنيا فى فنائها وزوالها مثل ماء أنزلناه من السماء ، فاختلط الماء بالأرض فأخرجت ألواناً من النبات والحبوب والثمار والبقول والكلأ والشعير حتى إذا ازينت الأرض بالحبوب والثمار والأزهار ، وأيقن أهلها أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها ، أتاها أمرنا بهلاكها فجعلناها مقطوعة لا شىء فيها » (١) .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [الحديد] .

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (١٤) ﴾ [الرعد] .

النبات :

ضرب المثل بالنبات وشبه به فى الكثير من آيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة] .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾ [إبراهيم] .

« والشجرة : النخلة ، ويجوز أن يكون المعنى : أصل الكلمة فى قلب المؤمن وهو الإيمان ، شبهه بالنخلة من المنبت وشبه ارتفاع عمله فى السماء بارتفاع فروع النخلة ، وثواب الله له بالثمرة » (٢) ، أما المقصود بالكلمة الخبيثة كلمة الكفر ، شبهها بشجرة خبيثة وهى الحنظل ، اقتلعت من أصلها فما لها من أصل فى الأرض (٣) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٥٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٦٢ .

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح] .

والمعنى : « أن المؤمنين يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ، فكان النبى ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوى أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ نباته ويستوى على عوده الذى يقوم عليه فيكون ساقاً له ويعجب هذا الزرع زراعه » (١) .

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) ﴾

[البقرة]

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) ﴾ [القمر] .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) ﴾ [الحاقة] .

الهواء :

استخدمت التربية الإسلامية الريح فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات فى عدة مواطن ، وكان مما جاء منها فى آيات القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) ﴾ [آل عمران] ، ومعنى الآية : « مثل نفقة الكافرين فى بطلانها وذهابها وعدم منفعتها كمثل زرع أصابه ريح باردة أو نار فأحرقته وأهلكته فلم ينتفع أصحابه بشىء بعدما كانوا يرجون فائدته ونفعه » (٢) .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ (١٨) ﴾ [إبراهيم] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٢٩٥ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

ب ـ تعميق الإدراك بعناصر البيئة الزراعية من خلال القصص القرآنى :

من المميزات التربوية للقصص القرآنى أنها تشد القارئ ، وتوقظ انتباهه ، وتجعله دائم التأمل فى معانيها ، والتتبع لمواقفها ، والتأثر بشخصياتها وموضوعها ، فهى تربى العواطف الربانية عن طريق إثارة الانفعالات المختلفة ، وتوجيه هذه الانفعالات حتى تلتقى عند النتيجة التى تنتهى إليها القصة ، وعن طريق المشاركة الوجدانية حيث يندمج القارئ مع جو القصة العاطفى ، ويعيش بانفعالاته مع شخصياتها .

وتمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكرى عن طريق التفكير والتأمل وعن طريق الإيحاء والاستهواء ، وهى تتكامل مع النفس البشرية فى واقعيتها الكاملة فتعرض أهم النماذج التى يريد القرآن إبرازها للكائن البشرى عرضاً صادقاً، وتوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته حتى تحقق الغرض التربوى من هذا العرض (١) . ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾** ﴾ [يوسف] .

وللقصص القرآنى أغراض كثيرة ، منها إثبات الوحى والرسالة ، وبيان أن الدين كله من عند الله ، كذلك بيان قدرة الله تعالى ، ومنها شد أزر المؤمنين ، وبيان أن الله ينصر رسله والذين آمنوا وينجيهم من المآذق والكروب ، ومنها تنبيه بنى آدم إلى خطر غواية الشيطان ، وضرورة الحذر من كل حاجة فى النفس تدعو إلى الشر (٢) .

كما كان تعميق الإدراك بعناصر البيئة الزراعية غرضاً من أغراض هذا القصص القرآنى الذى اتخذ من هذه العناصر مسرحاً دائماً لأحداثه ، فالأغنام، والإبل،والبقر ، والحمير ، وغيرها من عناصر البيئة الزراعية ، كل كان له دوره فى قصة من القصص القرآنى ، كما يلى :

الأغنام :

فدى الله إسماعيل بذبح عظيم بعد أن رأى أبوه إبراهيم فى نومه أنه يؤمر بذبح ولده : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾** ﴾ [الصافات] .

ـ وفى حسم خلاف وقع فى مجلس قضاء الملك داود بسبب الغنم،كان ظهور رأى النبى سليمان وحكمته : ﴿ **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ**

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ ـ ٢٤١ .

وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾ [الأنبياء] .

ـ وكان رعى الأغنام حرفة لموسى عليه السلام إذ عمل برعى الأغنام : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) ﴾ [طه]

الإبل :

من الإبل كانت ناقة صالح التى أيد الله بها نبيه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ [الأعراف] .

البقر :

ألهم الله نبيه يوسف عليه السلام بتفسير رؤيا الملك ليكون جزاؤه عن ذلك إخراجه من السجن وجعله على خزائن الأرض : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) ﴾ [يوسف] .

ـ اجتهد بنو إسرائيل فى البحث عن بقرة حدد الله لها سمات معينة ليهتدوا عن طريقها إلى من قتل أحد أبنائهم : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) ﴾ [البقرة] .

الحمير :

ورد ذكر الحمار فى قصة عزير الذى جعله الله آية للناس على صدق البعث وقدرة الله على إحياء العظام الرميم : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [البقرة] .

اهتمام فقهاء المسلمين بالزراعة :

كانت الزراعة أرضاً خصبة لأحكام الفقهاء من زكاة وتجارة وغيرها وما يدور حولها

من أحكام ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو يوسف (١١٣هـ ـ ١٨٥هـ) صاحب أبى حنيفة الذى تحدث عن زكاة الزروع فى كتابه « الخراج » (١) .

وهكذا لفت القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى الزراعة كمورد من موارد الإنتاج وحدثهم عن أهميتها ، والقوى والعوامل المؤثرة فى نمائها من هواء وماء ، وتربة ، واستمد من مظاهرها المختلفة أمثلة قرآنية تتلى فى حياتهم وتؤكد لهم أهمية الزراعة فى حياتهم ، ثم جاء الفقهاء ليبينوا كل ذلك بأحكام فقهية متعددة تناولت كل جوانب العملية الزراعية ، وما يتعلق بها من أحكام حتى السقاية والزروع والبيوع . . . إلخ .

ولم يتخلف المربون المسلمون عن إدراكهم لأهمية الزراعة ، وتعميقهم للتوجيه التربوى من خلال العملية الزراعية بعناصرها المختلفة ، فترى الكثير منهم يشبه العملية التربوية بعملية الفلاحة والزراعة قائلين مثلاً : « إن المعلم مثل الزارع ، إن التربة مثلها مثل التلميذ ، وإن الزرع نفسه كمثل ناتج التعلم والتربية ، ومن ثم فكما أن الزارع لا بد له من معرفة طيبة بنوع التربة بحيث لا يضع فيها من البذور إلا ما تتهيأ له ، كذلك فالمعلم ينبغى له أن يكون على دراية بطبيعة التلميذ » (٢) .

الخبز وطحن الحبوب :

إن حرفة الخبازة عرفت من زمن قديم ؛ إذ يقول تعالى فى شأن يوسف عليه السلام : ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)** ﴾ [يوسف] .

يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « لما حبس يوسف وغضب الملك على خبازه وصاحب شرابه ، وذلك أن الملك عُمّر فيهم فملوه ، فدسّوا إلى خبازه وصاحب طعامه أن يسماه ، فأجاب الخباز وأبى صاحب الشراب ، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك ، فأمر الملك بحبسهما ، فاستأنسا بيوسف » (٣) .

ويستدل من هذا التفسير أن الخبازة كانت حرفة قديمة ، ولها متخصصون فيها وقد عمل بها الرجال والنساء فى الزمن القديم ، وأن خباز الملك كان يتقاضى عن هذه الحرفة أجرا .

وإذا كانت الزراعة مهنة لكثير من المسلمين ، وكان من ضمن منتجاتها الحبوب والبقول ، فإن هذه الحبوب كانت تقوم عليها حرفة الطحن والخبز وهى من الأعمال التى تخصص فيها البعض .

(١) انظر : أبو يوسف بن إبراهيم : الخراج ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٢) سعيد إسماعيل على : النبات والفلاحة والرى عند العرب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة ،١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٨٩ .

وقد يكون الخبز على (الصاج) أو فى (التنور) ، وقد ورد التنور مرتين فى القرآن الكريم : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠)** ﴾ [هود] ، ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧)** ﴾ [المؤمنون] ، إنه تنور الخبز الذى يخبز فيه ، وكان تنوراً من حجارة ،وأنبع الله الماء منه، فعلمت به امرأة نوح ، فقالت : يا نوح ، فار الماء من التنور ، فقال : « جاء وعد ربى حقا » (١) .

وقد تحدث بعض العلماء عن هذه الحرفة فى العهد الإسلامى الأول ، فيذكر الكتانى « أن المسلمين فى المدينة المنورة كانوا يشترون الحب ويطحنونه ويخبزونه فى بيوتهم » (٢) .

الرعى :

يعتبر الرعى من الحرف التى تضرب بجذورها فى التاريخ ، فقد كانت من أولى الحرف التى عمل بها الإنسان ، كما عمل بها الأنبياء والمرسلون ، فكان موسى عليه السلام يرعى الأغنام ، ويتضح ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨)** ﴾ [طه] ، « أى أخبط بها الورق ليسقط فيسهل على غنمى تناوله فتأكله » (٣) .

يعتبر الرعى من الحرف الأساسية التى كان يشتغل بها الأعراب والمسلمون وخاصة فى البادية ، فقد كانت لهم أنعام ، وهذه الأنعام تحتاج إلى من يتعهدها ويرعاها ، وقد أشير إلى ذلك فى القرآن الكريم فيقول تعالى : ﴿ **كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤)** ﴾ [طه] ، وهذا أمر إباحة بالرعى .

وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الرعى بقوله : ﴿ **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥)** ﴾[الاعلى] ، « أى : من جميع صنوف النباتات والزروع » (٤)، وقوله: ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)** ﴾[النازعات]،« أى: أخرج من الأرض عيوناً متفجرة بالماء وكذلك النبات الذى يرعى ، وشق فيها الأنهار» (٥) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٣ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ .

ولقد كان الرعى حرفة أساسية لفئات من المسلمين إذ جاء القرآن مخاطباً لهم ومذكراً إياهم بفضله أنه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [النحل] .

« وتسيمون : ترعون إبلكم ، والسوم الرعى ، وأسمتها أنا أى أخرجتها إلى المرعى ، والخيل المسومة تكون المرعية » (١) .

ولحب المسلمين للأنعام والرعى يقول تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران] ، « والخيل المسومة يعنى الراعية فى المروج والمسارح ،السوام : كل بهيمة ترعى ، والأنعام : هى الإبل وكل ما يرعى » (٢) ، وفى هذا دلالة على اشتغال المسلمين الأوائل بالرعى .

تعميق إدراك الإنسان بحرفة الرعى من خلال ضرب الأمثال القرآنية :

كان لحرفة الرعى فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات دور كبير ، استخدمته التربية الإسلامية تعميقاً للإدراك بها . ومما جاء فى القرآن الكريم من ضرب الأمثال ما يلى :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة] ، وفى هذا تشبيه لواعظ الكفار وداعيهم وهو محمد ﷺ بالراعى الذى ينعق الغنم فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تفهم ما يقول (٣) .

تعميق إدراك الإنسان بحرفة الرعى من خلال القصص القرآنى :

كان تعميق الإدراك بحرفة الرعى غرضاً من أغراض هذا القصص القرآنى ، ومما ورد فيه من قصص خاصة بالرعى ما يلى :

* « ذهب خصمان إلى نبى الله داود يشتكى أحدهما الآخر بأن غنمه قد نزلت حرثه فأفسدته ، فلما خرج الخصمان على سليمان وكان يجلس على الباب الذى يخرج منه الخصوم فقال : بم قضى بينكما نبى الله داود ؟ فقالا : قضى بالغنم لصاحب الحرث ، فقال : لعل الحكم غير هذا ، انصرفا معى : فأتى أباه فقال : يانبى الله ، إنك حكمت بكذا وكذا ، وإنى رأيت ما هو أرفق بالجميع . فقال : وما هو ؟ قال : ينبغى أن تدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه ، فإذا عاد الزرع إلى حاله التى أصابته الغنم عليه فى السنة المقبلة رد كل واحد منهما ماله إلى صاحبه . فقال داود :

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٢ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

وفقت يا نبى الله ، لا يقطع الله فهمك ، وقضى بما قضى به سليمان »[1] .

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) ﴾ [الأنبياء] .

* « إن موسى عليه السلام مشى حتى بلغ مدين فوجد امرأتين تذودان الناس على غنمهما، فقال : ما شأنكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى »[2] ، وإن قيل: كيف ساغ لنبى الله أن يرضى لابنتيه برعى الغنم ؟ قيل له: ليس ذلك بمحظور والدين لا يأباه [3] ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ [القصص]

ونستخلص مما سبق أن الأنبياء جميعاً قد عملوا برعى الغنم ، فالرعى حرفة الأنبياء والمرسلين ، وقد عمل بها رسول الله ﷺ ومن قبله موسى عليه السلام .

حلب اللبن من الماشية (الحلابة) :

أشار القرآن الكريم إلى الانتفاع بألبان الأغنام فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) ﴾ [المؤمنون] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) ﴾ [النحل] .

ومن هاتين الآيتين نستدل بجواز الانتفاع بالألبان من الشرب وغيره ، وإن هذه الألبان لا تأتى إلا بحرفة الحلابة التى تمتهن من قبل الرجل والمرأة . ومن هذا دليل على أن المسلمين قد عرفوا تلك الحرفة ومارسوها .

التجارة :

التجارة فى أبسط معانيها تبادل المنافع ، والإنسان منذ وجد على هذه الأرض وهو يعيش فى جماعات ، وكل فرد فى مجموعة ما يحتاج إلى شىء من سلع أو خدمات الآخرين ، وعلى ذلك نستطيع القول بأن التجارة بدأت مع أولى الجماعات .

ولقد كانت التجارة من أهم موارد الدخل عند العرب كما كانت قوافلهم تقوم بنقل السلع بين شرق الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها ، وقد سجل القرآن الكريم بعض ذلك فى قوله تعالى : ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)

(١) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٣٠٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٩ .

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش] ، أى : « جعل لهم فى التجارة الرزق والخير الذى عوضهم عن هذه الأودية الجرداء التى يقل فيها الزرع والماء ، وجعلهم يألفون الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم » (١) .

صحابة تجار :

وقد تاجر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام « ومنهم خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه » (٢) « وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان » (٣) وغيرهم الكثيرون .

ولقد ورد ذكر التجارة فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء] ، وفى هذه الآية « نهى من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بأنواع المكاسب التى هى غير شرعية كأنواع الربا والقمار » (٤) .

وفى ذلك دعوة إلى التجارة ولكنها التجارة المقننة ، المحكومة بأخلاقيات طيبة يرضاها الشرع الشريف ؛ وفى هذا استجاشة لضمائر المسلمين لينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل ، وأكل الأموال بالباطل تدخل فيه كل طريقة لتداول الأموال لم يأذن بها الله أو نهى عنها ، ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لرفع ثمنها ، وجميع أنواع البيوع المحرمة (٥) .

التجارة المعنوية :

ورد ذكر التجارة أيضاً فى القرآن الكريم بمعنى آخر معنوى وهو : ابتغاء ما عند الله عز وجل من الثواب ، وذلك أن العبد يشترى ما عند الله تعالى بالأعمال الصالحة . فمن ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف] ، وتحض الشريعة الإسلامية على التجارة فى الحياة الدنيا والاشتغال بها ، ولكنها تحذر أيضاً من

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ .
(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، والجزء ، ص ٢٥ ـ ٣٢ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .
(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٩ .

«تقديم تجارة الدنيا على تجارة الآخرة التى قوامها طاعة الله ورسوله والرغبة إلى الله والدار الآخرة ؛ إذ إن ذلك يفسد صفقة العبد مع ربه ويؤذن بخسرانها » (١) .

ولقد وعظنا الله تعالى فى ذلك أبلغ موعظة فقال : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [التوبة] .

ولقد أباح الله تجارة الإنسان مع أخيه الإنسان بصفة عامة فقال تعالى : ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وعاتب الله المؤمنين « على ما كان قد وقع من الانصراف من الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ» (٢) ، فقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾** ﴾

[الجمعة]

مما تقدم نستنتج أهمية التجارة فى الإسلام واعتنائه بها ، وهو لم يذكرها دون أن يوجهنا إلى ما يحل لنا فيها وما يحرم علينا ، أى أنه أمرنا بالتجارة فى الحلال ، وحرم علينا التجارة فى المنكرات .

التجارة فى الطعام :

إن تجارة الطعام من الأعمال المهمة فى المجتمع ، وهى خدمة من الخدمات الواجبة والقائم بها يؤدى واجباً حيال المجتمع وفى سبيل الله ، وفى القرآن الكريم إشارة إلى قدم هذه الحرفة .

قال تعالى فى شأن أخوة يوسف عليه السلام : ﴿ **وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾** ﴾ [يوسف] ، وقوله : ﴿ **وَنَمِيرُ أَهْلَنَا** ﴾ « أى : نجلب لهم الطعام » (٣) .

وفى هذه الآية دلالة على أن أخوة يوسف عرفوا معنى التصدير والاستيراد فى مجال الطعام بمفهومه الواسع الذى يتعدى الحدود الجغرافية للبلدان .

---

(١) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٢٤ .

كما مارس الأنبياء والمرسلون هذه التجارة وتعاملوا معها إما بيعاً أو شراءً إذ يقول تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً** (٢٠) ﴾ [الفرقان] .

« وفى هذا خبر عن جميع من بعثه الله من الرسل المتقدمين ، أنهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق للتكسب والتجارة » (١) .

« ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فقد كان يمشى أيضاً فى الأسواق ويشترى الطعام ، ويتردد فيها طلباً للكسب والتجارة » (٢) قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً** (٧) ﴾ [الفرقان] .

تعميق إدراك الإنسان بحرفة التجارة فى الطعام من خلال القصص القرآنى :

جاء فى القصص القرآنى ما يلى :

* « قصة أهل الكهف الذين لبثوا فى الكهف ثلثمائة سنة وازدادوا تسعاً ثم أحياهم الله ، وبعد أن تساءلوا عن مدة الرقود بعثوا أحدهم بنقودهم إلى المدينة ، فلينظر أيها أطيب قوت ،وأمروه بأن يتلطف فى دخول المدينة وشراء الطعام » (٣) ﴿ **وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** (١٩) ﴾ [الكهف] .

والخلاصة أننا نستطيع أن نؤكد أن تجارة الطعام كانت حرفة موجودة زمن الأنبياء والمرسلين ، وقد تعامل رسول الله ﷺ مع من يحترفونها دون أن ينكر عليهم ذلك،بل لقد أوصى بها وحض عليها،وشرفت بذكر القرآن الكريم لها،وعمل الرسول ﷺ بها.

التجارة فى المسك :

« المسك : من الطيب فارسى معرب وكانت العرب تسميه المشموم » (٤) .

وقد ورد المسك فى قوله تعالى : ﴿ **يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ** (٢٥) **خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** (٢٦) ﴾ [المطففين] ، والمعنى : « أن أهل الجنة يسقون من خمر خلط بمسك » (٥) ، « والرحيق من أسماء الخمر » (٦) .

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣١٣ .
(٢) المرجع السابق ، والجزء ، ص ٣١٠ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٣٧٥ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٢٥ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ .
(٦) المرجع السابق والصفحة .

وفى هذا دلالة على معرفة العرب لتجارة المسك .

الدباغة والحرف الجلدية :

يقول تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠)** ﴾ [النحل] ، يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده بأن « جعل لهم من جلود الأنعام بيوتاً أى الأدم يستخفون حملها فى أسفارهم ليضربوها لهم فى إقامتهم فى السفر والحضر » (١) ، وقيل : « بيوتاً تعنى الخيام والقباب يخف عليكم حملها فى الأسفار » (٢) ، « والقب : الجلد إذا يبس وذهب ماؤه » (٣) .

والملاحظ أنه لابد أن تقوم حرفة الدباغة على أساس إصلاح جلود الأنعام للاستفادة منها فى الخيام والقباب .

ومما سبق نستطيع أن نؤكد أن الدباغة والحرف الجلدية كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ ، وقد حث عليها القرآن الكريم .

حرفة الأحذية :

ورد النعل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)** ﴾ [طه] .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « النعل ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض ، وقيل أمر بطرح النعلين لأنهما نجسة إذ هى من جلد غير مذكّى » (٤) .

ويتبين من التفسير السابق أن حرفة دباغة الجلود قديمة جداً ، وكانت الأحذية والنعال تصنع من الجلود التى أعدت إعداداً خاصاً لذلك ، وقد امتدت هذه الحرفة فى عهد موسى مروراً بالمسلمين الأوائل وحتى الآن .

الاحتطاب والاتقاد :

استخدام الوقود فى العهد الإسلامى الأول من الخشب ومن الحطب ، يقول تعالى فى وصف جهنم : ﴿ **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢)** ﴾ [المرسلات] ،ويقول ابن عباس : « كنا نرفع الخشب للشتاء ثلاثة أذرع أو أقل ونسميه القصر ، والقصر : هى أصول

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥٣ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥١٨ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٧٣ .

الشجر والنخل إذا وقع وقطع وقيل : أعناق النخل » [١] .

يقول القرطبى : « هذه الآية دليل على جواز ادخار الحطب والفحم ، وإن لم يكن من القوت ، فإنه من مصالح المرء ومغانى مفاقره . وذلك مما يقتضى النظر أن يكتسبه فى غير وقت حاجته ، ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن » [٢] .

أى أن الشرع أباح ادخار مادة الوقود ، وذلك لأهميتها عند الفرد ، إذ إنه يطهى عليها طعامه .

وقد كانت مادة الوقود غالباً من الأشجار قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)** ﴾ [الواقعة] ، « أى : أخبرونى عن النار التى تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب ، أنتم خلقتم شجرتها أم نحن الخالقون لها ؟ نحن جعلنا نار الدنيا موعظة للنار الكبرى ، وتبصرة للناس المسافرين فى الظلام » [٣] .

ولما كان العرب يستخدمون الحطب للوقود الذى يستخدمه الحداد والبيت ، فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر أن الكفار والأوثان التى يعبدونها من دون الله حطب جهنم وقيل : وقود جهنم [٤] . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)** ﴾ [الأنبياء] ، وقال تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾[البقرة]، « والوقود: الحطب، ومعناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها، والحجارة: هى حجارة الكبريت الأسود، وخصت بذلك لأنها تتميز بسرعة الاتقاد، وقوة حرّها إذا حميت .

ولقد نبه تعالى على وحدانيته ، ودل على كمال قدرته فى إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندى الرطب ، وذلك أن الكافر قال : «النطفة حارة رطبة بطبع الحياة تخرج منها الحياة ، والعظم بارد ويابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة » [٥] فنزلت الآية : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)** ﴾ [يس] ، بمعنى أن الشجر الأخضر من الماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار ، وهو القادر على إخراج الضد من الضد [٦] ،

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٣ : ١٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٢١ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٣٤٣ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٥٩ .

كما ذكر الوقود فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾** ﴾ [التحريم] ، وفى موضع آخر يقول تعالى : ﴿ **النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾** ﴾ [البروج] ، «والوقود هو الحطب » (١) .

وقد ورد فى القرآن الكريم أن امرأة أبى لهب كانت تحمل الحطب ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾** ﴾ [المسد] ، يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « إن امرأة أبى لهب كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر ، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها ، لشدة بخلها فعيرت بالبخل » (٢) .

نستدل مما سبق على أن المسلمين عرفوا معنى الاتقاد ، ومواده الخام ومارسوا الاتقاد وكانت مواد الاتقاد من الخشب والحطب ، وأن الرجال والنساء على السواء قد عملوا فى تخزين وجمع وحرق الحطب .

صناعة النسيج والحياكة والألبسة :

يقول ابن خلدون : « صناعة الحياكة والخياطة ، هاتان الصناعتان ضروريتان فى العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفة ، فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداءً فى الطول وإلجاماً فى العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة ، . . . ثم نلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة . . وهاتان الصنعتان قديمتان فى الخليقة . . ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام ، وهو أقدم الأنبياء » (٣) ، والملاحظ أن معظم الحرف والمهن عند المسلمين تنسب إلى الأنبياء وكأنها محاولة من المفكرين المسلمين لرفع منزلة تلك المهن والحرف ومن يشتغل بها وحث الناس على الإقبال على تلك الحرف والمهن .

ولقد ذكر ابن خلدون الغزل من الصوف والكتان والقطن ، ولم يذكر شعر الماعز ووبر الجمال والحرير ، وربما ترك ذلك لمعرفة الناس به ، ولذكره فى القرآن الكريم : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾** ﴾ [النحل] ، أى : « ومن أصواف الغنم وأوبار الإبل وأشعر الماعز ، تتخذون منه أثاثاً ، وقد اختلف فى الأثاث فقيل : هو المال وقيل : المتاع وقيل : الثياب » (٤) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٢٨٧ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٢٤٠ .
(٣) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ص ٤١١ ، ٤١٢ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن المسلمين الأوائل كانوا يصنعون من الأصواف والأوبار والأشعار أثاثاً من ملابس ، وبسط وغيره .

ويجدر بنا أن نتعرف على المواد الخام التى كانت تصنع منها الألبسة والنسيج والتى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

شعر الماعز :

إن شعر الماعز أو المعز كان عند المسلمين الأوائل كما هو الآن من المواشى الكثيرة الوجود ، وقد ورد ذكر المعز فى قوله تعالى : ﴿ **ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (١٤٣) ﴾ [الأنعام] .

وفى هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى أن الأنعام كلها « مخلوقة لبنى آدم أكلاً وركوباً وحمولة وحلباً وغير ذلك من وجوه المنافع كالاستمتاع بشعرها وغيره . . . »(١) .

« وحينما يراد استعمال شعر الماعز يعد إعداداً خاصاً ؛ إذ على الغزّال تنظيفه قبل غزله وذلك بنشره وتنظيفه من المواد الغريبة المختلفة به ، وقد يضرب بالعصا أو بآلة خاصة على نحو مايفعله النداف فى الوقت الحاضر ، لتلطيفه وجعله سهلاً للغزل ، وقد يغسل بالماء ثم ينشف ثم ينظف » (٢) .

ولقد كان العرب قبل الإسلام يستخدمون شعر الماعز فى غزل خيامهم ، وإن كان شعر الماعز يستعمل غالباً لصنع الخيام ، فإنه يستخدم أيضاً فى صنع الملابس ، بل صنع فيه أشياء أخرى ومنها الحبال ، قال تعالى : ﴿ **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** (٥) ﴾ [المسد] ، أى : « فى عنقها حبل من ليف وقيل : المسد : حبل من صوف » (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** (٩٢) ﴾[النحل]،والنقض والنكث واحد،والاسم النكث والنقض، وشبهت هذه الآية الذى يحلف ويعاهد ويبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكماً ثم تحله . ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة كانت تفعل ذلك ، وفيها وقع التشبيه (٤) .

إنها دلالة على قيام حرفة غزل الصوف فى العهد الإسلامى الأول .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

(٢) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٧١ .

وبر الابل :

« الوَبَر : صوف الإبل والأرانب ونحوها » [1]، وقد ورد ذكر الوبر فى قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾** ﴾ [النحل] ، أى : ومن وبر الإبل تصنعون خيامكم وثيابكم وبسطكم [2] .

كما ورد ذكر الناقة فى عدة مواضع منها : ﴿ **فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾** ﴾ [الأعراف] ، وورد ذكر الجمل فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [الأعراف] .

كما ورد ذكر الإبل فى موضعين اثنين أولهما : ﴿ **وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾** ﴾ [الأنعام] ، وثانيهما : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾** ﴾ [الغاشية]

« وقد يكون ذكر الإبل والجمل والناقة بهذه الكثرة فى القرآن الكريم نظراً لأهميتها البالغة فى صدر الإسلام . فالجمل دون ريب هو بالنسبة للبدوى أعظم الحيوانات نفعاً ولولاه ماكانت البادية صالحة للسكنى ، فالجمل هو الذى يغذى البدوى ، وهو أداة انتقاله ، وهو رفيقه ، يشرب لبنه بدل الماء ، ويجعل طعامه من لحمه ، وكساءه من جلده، ويحوك بعض أجزاء خيمته من وبره، وكذلك بعض أنواع الملابس والبسط »[3] .

ونستدل من ذلك أن صناعة غزل الأوبار وحياكتها معروفة منذ القدم ، وقد مارسها العرب فى صدر الإسلام ونسجوا منها بعض أنواع الملابس وغيرها .

الصوف :

« الصوف للضأن وما أشبهه . قال ابن سيده : الصوف للغنم كالشعر للماعز والوبر للإبل ، والجمع أصواف » [4] ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم : ﴿ **وَمِنْ**

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، الطبعة الثانية ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ ، ج ٥ ، ص ٢٧١ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .

(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٩٩ .

﴿ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل] .

« وقد أذن الله سبحانه وتعالى بالانتفاع بصوف الغنم ووبر الإبل وشعر الماعز ، ولم يذكر القطن والكتان ؛ لأنه لم يكن فى بلاد العرب المخاطبين به ، وإنما عدد عليهم ما أنعم به عليهم ، وخوطبوا فيما عرفوا بما فهموا ، وتضمنت هذه الآية جواز الانتفاع بالأصواف والأوبار والأشعار على كل حال ؛ ولذا قال العلماء : صوف الميتة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به ويغسل مخافة أن يكون علق به وسخ » (١) .

« والعهن : هو الصوف المصبوغ ألواناً » (٢) . وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ [القارعة] ، أى : « أن يوم القيامة ستكون الجبال كالصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق » (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النحل]، والدفء : السخانة ، وهو ما استدفئ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس ولُحُف وقطف (كساء له وبر) (٤) . وقد دلت هذه الآية على لباس الصوف « وقد لبسه رسول الله ﷺ والأنبياء قبله كموسى عليه السلام وغيره » (٥) .

ومما يؤكد أهمية الأنعام فى اتخاذ صوفها ووبرها للاستدفاء قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [غافر] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ « فى الوبر والصوف والشعر وغير ذلك » (٦) .

الحرير :

قال تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الدخان] ، قال المفسرون فى السندس : « إنه رقيق الديباج ورفيعه . وفى تفسير الاستبرق : إنه غليظ الديباج ، ويقال هو : الحرير » (٧) ، « والحرير ثياب من الإبريسم » (٨) ، « والإبريسم : الدّمقس ، وقيل : القز ، وقيل : الدمقس : الديباج ، وقيل : هو الحرير ، وقيل : الإبريسم » (٩) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٩٦ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٤٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٦٩ .
(٥) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٠ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٣٣٠ .
(٧) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .
(٨) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .
(٩) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٨٨ .

وقد نهى الإسلام عن لبس الحرير للرجال دون النساء ، وللأصحاء دون المرضى لما فيه من ترف يميت الرجولة ، ومن تشبه بمترفى العجم ، ومن تأثير يتركه استعماله فى نفوس الفقراء .

زخرفة الملابس (الوشى) :

« الوشى معروف وهو يكون من كل لون،والوشى فى اللون : خلط لون بلون ، والحائك: واشٍ يشى الثوب وشياً أى نسجاً وتأليفاً ، ووشى الثوب : حسَّنه ، ووشاه : نمنمه ونقشه وحسَّنه » (١) .

وقد ورد الوشى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** (٧١) ﴾ [البقرة] .

وشية هنا : اللون (٢) ، والوشى : هو تطريز وتزيين النسيج الأصلى برسوم ناتئة أو غير ناتئة أو خطوط أو مضلعات أو نحوها،وقد تصنع بالإبرة أو تحاك أصلاً مع النسيج، وقد يستعمل فيها خيوط من الحرير أو الذهب أو الفضة أو مادة أخرى تختلف عن النسيج الأصلى (٣) .

ومما تقدم يتبين لنا أن الوشى كان معروفاً منذ القدم ، وقد عرفه العرب ومارسوه فى مساكنهم وملابسهم .

أسماء المنسوجات والملابس :

١ـ الجلباب:

« الجلباب : القميص والجلباب ثوب أوسع من الخمار ، دون الرداء تغطى به المرأة رأسها وصدرها ، وقيل : هو ثوب واسع ، دون الملحفة تلبسه المرأة ، وقيل : هو الملحفة » (٤) ، « والجمع الجلاليب (٥) ، وقيل : إن الجلباب هو الرداء فوق الخمار ، وهو بمنزلة الإزار اليوم » (٦) .

وقد ورد فى القرآن الكريم: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** (٥٩) ﴾[الأحزاب] ،

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٣٩٢ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١١ .
(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .
(٦) الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١٨ .

« أى : يا محمد ، آأمر النساء المسلمات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن نساء الجاهلية » (١) .

وقال تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)** ﴾ [النور] ، وقوله تعالى : « ﴿ **أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ** ﴾ قال ابن عباس : هو الجلباب » (٢) .

٢ـ القميص :

« القميص : الذى يلبس والجمع (الأقمصة) » (٣) ، وقد ورد ذكر القميص فى قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)** ﴾ [يوسف] ، « إنه لما أراد أخوة يوسف أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم ، قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها ، وهى سلامة القميص من التمزيق » (٤) ، وربما طرق فى ذهنهم تخريق القميص ولكنهم لدقة صنعته لم يستطيعوا ، وربما يكون عمى عليهم ذلك ليستبان أمرهم .

كما ورد القميص فى قصة يوسف وامرأة العزيز إذ يقول تعالى : ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)** ﴾[يوسف]، والمعنى: «أن امرأة العزيز قبضت قميص يوسف من خلفه فى أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق إلى أسفل القميص » (٥) .

وقد توالى ذكر القميص فى قوله تعالى : ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)** ﴾ [يوسف] ، كما ورد ذكر القميص فى قوله تعالى : ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)** ﴾ [يوسف] .

ومما سبق يتبين لنا أن مهنة الحياكة وصناعة الأقمشة قديمة جداً وقد احترفها العرب قبل نزول رسالة الإسلام وبعده ومازالت حتى يومنا هذا .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٩ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٥١ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٤٩ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٧٠ .

٣ ـ اللباس (بصفة عامة) :

«اللباس بالكسر ما يلبس وكذا الملبس »[١]، وأتى ذكر اللباس فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع دون تحديده بالضبط ، فقال تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** (٢٦) ﴾ [الأعراف]

وفيها « يمتن الله على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش ، فاللباس ستر العورات ، والرياش والريش ما يتجمل به ظاهراً فالأول من الضروريات ، والريش من التكميلات والزيادات » [٢] .

ويتضح من هذا التفسير أن العرب لم تكن تعنى بالثياب الذى يقيهم الحر والبرد فقط ، ولكن كانوا يعتنون بالنواحى الجمالية فى الثوب .

وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** (٨١) ﴾ [النحل] ، وقوله تعالى: « ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَ** ﴾ هى الثياب من القطن والكتان والصوف » [٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (٢٣٣) ﴾ [البقرة] ، « الكسوة : اللباس . وقوله : ﴿ **بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ أى : بالمتعارف فى عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط » [٤] ، كما ورد ذكر الكسوة فى قوله تعالى : ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ** ﴾ [المائدة : ٨٩] ، وقيل : « إن الكسوة فى حق الرجال : الثوب الواحد الساتر لجميع الجسد ، فأما فى

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٩٠ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

حق النساء فأقل ما يحزئهن فيه الصلاة وهو الدرع والخمار» (١) ، وقد ورد ذكر الثياب أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ [المدثر] ، كما ورد ذكره فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴾ [النور : ٥٨] ، وفى قوله تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان] ، « والثياب هنا بمعنى الملبوسات » (٢) عامة .

وقد أباح الله سبحانه وتعالى الثياب على الإطلاق ما دام ساتراً للعورة فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف] ، وقد قيل : « إن الزينة هى جميع الثياب ، وروى عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أنه كان يلبس فى الصيف ثوبين من متاع مصر مصبوغين بالمشق، وهو صبغ أحمر ، ويقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ » (٣) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض المواد التى يصنع منها الثياب . حين وصفه ، وسوف نتناول بعض أنواع الألبسة وموادها الأولية كما وردت فى القرآن الكريم :

أ ـ اللباس من السندس والإستبرق :

قال تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف] ، وقد قال المفسرون فى السندس : « إنه رقيق الديباج ورفيعه ، وفى تفسير الإستبرق : إنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه ، كما لم يختلف أهل اللغة فيهما أنهما معربان » (٤) .

ب ـ اللباس من الحرير :

يقول تعالى فى وصف أهل الجنة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٧٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٦٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .

الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) ﴾ [الحج] ، أى : « وجميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم وستورهم حرير وهو أغلى مما لدينا فى الدنيا بكثير » (١) .

جـ ـ اللباس من اللؤلؤ والمرجان :

يقول تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)** ﴾ [النحل] ، وقوله : ﴿ **وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا** ﴾ « يعنى به : اللؤلؤ والمرجان » (٢) .

أداة الخياط :

إنه يلزم لصناعة الألبسة وكافة أنواعها أن تخاط عند الخياط ، الذى يستعين بالإبرة فى خياطة الثياب ، وذلك بإدخال الخيط فى ثقبها أو سمِّها ، وفى القرآن الكريم يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)** ﴾ [الاعراف] ، وقد قال الفراء : « سم الخياط : ثقب الإبرة ، والخياط : ما يخاط به » (٣) .

وفى هذا دليل على معرفة المسلمين بالخياطة والأدوات التى تعينهم على الخياطة وممارستهم لها .

الطباعة والنقوش :

ورد فى القرآن الكريم إشارة إلى مهنة الطباعة والنقوش وذلك فى قوله تعالى فى وصف أهل الجنة : ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)** ﴾ [الرحمن] ، «والعبقرى : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال خالق هذه النقوش : إنها حسان ، فما ظنك بتلك العباقر ؟ وقيل : إن كل ثوب وشى عند العرب عبقرى ، ويقال : عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة » (٤) .

إن هذه الآية لتبين لنا أهمية مهنة الطباعة والنقوش ، كما تبين أيضاً ما يجب أن تكون عليه المهنة من دقة وإتقان وحسن .

التنجيد :

لقد عرف العرب والمسلمون الوسائد وقد حشوها فى الغالب من الأدم ، يقول

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٨٢٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

عبد الحى الكتانى : « إن رسول الله ﷺ أدنى الوسادة إلى سلمان حين دخل عليه ، والوسادة : ما يتوسد عليه ، أى يوضع تحت الرأس وهى التى تسمى مخدة » (١) ،وقد وردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [الغاشية]،« أى : وسائد والواحدة نمرقة،والمعنى:أن الواحدة بجانب الأخرى » (٢)،وقال تعالى:﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية] ، « والزرابى : هى النمارق ، والنمارق : الوسائد ، وقيل : هى الطنافس المُخْمَلَةُ والبُسُط » (٣) ، وقيل : « هى كل ما بسط واتكئ عليه » (٤) .

إن مخاطبة العرب لا يمكن أن يكون بلغة لا يفهمونها ، فلابد أنهم يعرفون معنى النمرقة ، ويستخدمونها لذا خوطبوا بها ، وفى هذا دلالة على وجودها ووجود حرفة التنجيد فى العهد الإسلامى الأول .

الصباغة :

« إن عادة صبغ الثياب من العادات المعروفة عند العرب قبل الإسلام ، وكانوا يستعملون فى ذلك أصباغاً مختلفة ، كالقرف وهو قشور الشجر ، والجذور يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يصنعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات ، ويقوم بصبغ الثياب الصباغون ، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها » (٥) .

وقد ذكرت الصباغة فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع حيث يقول تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة] ، وقد « سمى الدين صبغة استعارة ومجازاً من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين ، كما يظهر أثر الصبغ فى الثوب » (٦) ، ونستدل من تشبيه القرآن الدين بالصبغة : أن المسلمين الأوائل كانوا يعرفون الصبغة ولذلك نزل القرآن بلغتهم .

ويقول تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المؤمنون] ، وقوله : « ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ يراد به الزيت الذى يصطبغ به الأكل يقال : صبغ وصباغ ، ودبغ ودباغ ، وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ ، وأصل الصبغ ما يلون به

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتب الإدارية ، مرجع سابق ج ١ ، ص ٣٢ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٣٤ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٤٧ .
(٥) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ، نقلها من جواد على : المفصل ، ج ٧ ، ص ٦١٦ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

الثوب ، وشبه الأدم به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه » (١) .

وقد شبه الله سبحانه وتعالى الجبال يوم القيامة بالعهن . فقال تعالى : ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ** ۝٩ ﴾ [المعارج] ، أى كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف عهن إلا أن يكون مصبوغاً ، وقال الحسن : « هو الصوف الأحمر وهو أضعف الصوف ، وقيل العهن : الصوف ذو الألوان ، فشبه الجبال به فى تلونها ألواناً » (٢) .

النجارة :

تنقسم النجارة إلى نجارة عامة ، ونجارة خاصة تتمثل فى نجارة السفن .

أولاً : النجارة العامة :

« النجر نحت الخشبة ، نجرها ينجرها نجراً : نحتها ، ونجارة العود : ما انتحت منه عند النجر ، والنجار : صاحب النجر وحرفته النجارة » (٣) .

والنجار هو الذى ينجر الخشب ، فيقوم بنشره وحفره وإصلاحه وعمله على النحو المطلوب ، ومادة النجارة الخشب ، وقد قال عنها ابن خلدون : « هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب ، ثم يعدد منافعها لأهل البدو والحضر ، فأما أهل البدو فيتخذون منها العُمُدَ والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم ، والرماح والقسى والسهام لسلاحهم ، وأما أهل الحضر ، فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم ، والكراسى لجلوسهم ، وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة أى النجارة ، وفيما يقال : إن معلم هذه الصناعة فى الخليقة هو نوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة » (٤) ، قال تعالى : « ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ۝٢٧ ﴾ [المؤمنون] ، فلقد شاء الله أن يصنع نوح الفلك بيده ، وقد علم صناعة الفلك » (٥) .

وقد يصنع من الخشب أشياء مختلفة منها تقوية الجدر ، وفى صنع السقوف والأبواب وفى تقوية السلالم ، وفى صنع الشبابيك .

وقد ورد ذكر السقف فى القرآن الكريم فى مواضع عدة منها : ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن**

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١١٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٣) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٩٣ .
(٤) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ .
(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٦٥ .

قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦) ﴾ [النحل] ، وورد ذكر السلالم فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) ﴾ [الطور] ، أى : « مرقاة إلى الملأ الأعلى » (١) ، وكذلك : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾ [الأنعام] .

واستخدم الخشب فى صنع أثاث البيت وفى كثير من الأدوات المستخدمة فى حياة الإنسان ، وقد ورد ذكر الأثاث فى القرآن الكريم : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) ﴾ [مريم] ،وقوله تعالى: ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴾ أى : « أحسن متاعاً ومنظراً وقيل : خير مسكناً وأحسن مجلساً » (٢) .

وقد ذكر أسماء بعض أنواع الأثاث : مثل الأرائك فى قوله تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) ﴾ [يس]،« والأرائك هى: السرر »(٣) «وهى: جمع أريكة ، وهى السرر وقيل : هى الأسرة » (٤) ،وجمع السرير أسرة (٥) ، وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾ [الكهف] ،وقال تعالى : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) ﴾ [الصافات] ، أى : «أن الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد » (٦)،ووردت فى آية أخرى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) ﴾ [الواقعة] ، أى : « السابقون فى الجنة مجالسهم على سرر جمع سرير » (٧) ، وقوله تعالى : ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) ﴾ [المطففين] ، أى : « فى الجنة ينظرون وهم على الأسرة » (٨) .

ويقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٧٤ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٣٩٨ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٧٧ .
(٧) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٠١ .
(٨) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٢٦٤ .

﴿ زَمْهَرِيراً ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان] ، أى : « متكئين فى الجنة على سرر لا يرون فى الجنة شدة حر ، ولا برداً مفرطاً » (١) ، كما ورد ذكر الكرسى أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ص] .

وقد كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة وقد حف من جانبيه بالنخل ، وجعل على رءوس النخل التى هى على يمين الكرسى طواويس من ذهب ، ثم جعل على رءوس النخل التى على يسار الكرسى نوراً من ذهب مقابله الطواويس (٢) ، ونستدل من ذلك أن الأشجار كانت مادة لأعمال النجار يصنع منها الكراسى ، كما أن العرش من الألفاظ الواردة فى عدة مواضع من القرآن الكريم منها : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف] ، أى : « ورفع أبويه على السرير الذى يجلس عليه » (٣) ، « والعرش من البيت سقفه وربما المقصود الكرسى الذى يجلس عليه ، وعَرَش بنى بناء من خشب ، والعرش أيضاً : الخيمة ومنه قيل لبيوت مكة : العُرُش لأنها عيدان تنصب ويظلل عليها » (٤) ، كما ورد ذكر التابوت أيضاً أى سرير الموت فى قوله تعالى : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه] ، وقد قيل : « إن مؤمن آل فرعون هو الذى صنع التابوت ونجره » (٥) من الخشب .

كما ورد ذكر الجفان فى قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] ، أى : « يعملون لسليمان ﴿ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ والجواب جمع جابية وهى الحوض الكبير الذى يجىء فيه الماء » (٦) ، واستمر عمل الجفان إلى عهد رسول الله ﷺ إذ « كان النجار ولاسيما من تخصص بالقداحة منهم بعمل القدح النضار ، وهو القدح المعمول من النضار ، والنضار خشب معروف فى الحجاز فى أيام الرسول ﷺ ويكون بغور الحجاز ، يعمل منه ما دق واتسع وغلظ من الأقداح ، وذلك لتحمل هذا

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٣٧ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٠٢٩ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٩٥ .
(٦) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .

الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز ، وقد كانوا يدفنون هذا الخشب حتى ينضر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله فى ترقيقه ، وقد كان عند الرسول قدح نضار عريض ، ويعبر أيضاً عن الأقداح المنحوتة من الخشب بـ (الخشيب) » (١) .

وقد ذكر الباب فى أكثر من موضع منها قوله تعالى : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)** ﴾ [يوسف] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)** ﴾ [يوسف] ، أى أنهم كان لديهم نجارون يعملون هذه الأبواب فى زمن يوسف عليه السلام .

تعميق إدراك الإنسان بمهنة النجارة من خلال التشبيهات القرآنية :

لمعرفة العرب بالخشب ، فقد شبه الله سبحانه وتعالى المنافقين بالخشب فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)** ﴾ [المنافقون] ، «وفى هذا تشبيه للمنافقين بالخشب المسندة إلى الحائط وأنهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون » (٢) .

ثانياً : نجارة السفن :

وجد فى العهد الإسلامى الأول نجارون تخصصوا فى صنع القوارب والسفن لاستعمالها فى صيد السمك وفى البحار والأنهار وللتجارة البحرية والنقل ، ويبدو أن هذه الحرفة قد انتشرت فى السواحل البحرية لشبه الجزيرة العربية ، أما فى الداخل فلا يمكن أن تكون منتشرة لعدم توفر وجود الأنهار الصالحة للملاحة البحرية .

وقد ذكر القرآن الكريم نجارة السفن وكانت من الأخشاب حين خاطب المولى نوح عليه السلام قائلاً : ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧)** ﴾ [هود] ، أى : « واصنع السفينة بمرأى منا وتعليمنا لك ما تصنعه ، وقال بعض السلف : أمره الله تعالى أن يفرز الخشب ويقطعه ويبسه فكان ذلك فى مائة سنة ونجرها فى مائة سنة أخرى ، وقيل : فى أربعين سنة ، وقيل : إن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج » (٣) ، وقيل : « إن نوح قال : يارب ، ما أنا بنجار ، قال : فإن ذلك بعينى ،

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٢٥ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

فأخذ القادوم فجعله بيده ، وجعلت يده لاتخطئ ، فجعلوا يمرون به ويقولون : هذا الذى يزعم أنه نبى صار نجاراً » (١) .

ويؤكد تلك المعنى قوله تعالى : ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** (٢٧) ﴾ [المؤمنون] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ** (١٣) ﴾ [القمر] ، أى : « وحملنا نوحاً على سفينة من خشب وخيوط من ليف تشد ألواحها ، تجرى على الماء بحفظنا جزاء لنوح الذى استمر قومه على تكذيب دعوته » (٢) .

ويمتن الله علينا بأن جعل لنا السفن المصنوعات بأيدينا جاريات فى البحر ، فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ** (٢٤) ﴾ [الرحمن] ، أى : « وله السفن تجرى فى البحر كالجبال فى كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم ، مما فيه صلاح الناس فى جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع » (٣)،وفى هذا التفسير دليل على إتقان هذه الحرفة فى هذا العصر .

ويقول تعالى موجهاً نظرنا إلى أهمية السفن : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٤) ﴾ [النحل] ، وفى موضع آخر يقول تعالى : ﴿ **وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٢) ﴾ [فاطر] ، أى : « وترى السفن تشق البحار والأنهار بما أودع الأشياء فى هذا الكون من خصائص ، ولكثافة الماء وكثافة الأجسام التى تتكون منها السفن ، وقوله : ﴿ **لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ** ﴾ بالسفر والتجارة من قطر إلى قطر » (٤) ، ويقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** (١٦٤) ﴾ [البقرة] ، « وتدل على وجود السفن التى تجرى على وجه الماء ووقوفها مع ثقلها ، وأول من عملها نوح عليه السلام » (٥) .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣١ .

(٢) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، الطبعة السادسة ، أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة القرآن والسنة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٣١٣ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٩٣٤ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

إن قوم نوح كذبوه فنجاه الله ومن معه فى السفينة التى صنعها بيده ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ** (٦٤) ﴾ [الأعراف] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ** (٧٣) ﴾ [يونس] .

نستدل مما سبق أن مهنة النجارة حرفة قديمة جداً ، وقد عرفها الأولون واستخدموا أدواتها ، ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** (٧١) ﴾ [الكهف] ، أى : « فانطلقا موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملون بغير نوال ، فلما ركبا فى السفينة لم يفاجأ موسى إلا والخضر قد خلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم » (١) .

وقد عرف موسى فيما بعد العلة من ذلك : ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** (٧٩) ﴾ [الكهف] .

إن السفن نعمة من الله إذ إننا نحمل عليها من قطر لآخر ومن موضع لآخر، يقول تعالى : ﴿ **وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ** (٢٢) ﴾ [المؤمنون] ، ويقول تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ** (٤١) ﴾ [يس] ، أى: « ونعمة لهم أنا حملنا ذريتهم فى السفن ، يحمل فيها من يصعب عليه المشى والركوب من الذرية والضعفاء » (٢) .

ولقد حرص الإسلام على تعريف الإنسان بالسفن وعلى انتفاعه بها وكان تأكيده على منافعها العظيمة مستمراً ، ويظهر ذلك بصورة واضحة فى كثرة عدد الآيات القرآنية التى تناولتها .

السفن : وقد ورد لفظ « السفن » فى أربع آيات (٣) منها قوله تعالى : ﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٥) ﴾ [العنكبوت] .

الفلك : عبر عن السفينة بلفظة « الفلك » فى ثلاث وعشرين آية (٤) منها قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ** (٣٢) ﴾ [إبراهيم] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ** (٤١) ﴾ [يس] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٨١ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣٤ .

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

(٤) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٦٦٨ ، ٦٦٩ .

الجاريات : عبر القرآن الكريم عن السفن بلفظة « الجاريات » فى آية واحدة [١] فى قوله تعالى : ﴿ **فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا** (٣) ﴾ [الذاريات] .

الجوار : عبر عن السفينة بلفظة « الجوار » فى ثلاث آيات منها قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ** (٢٤) ﴾ [الرحمن] .

الجارية : عبر القرآن الكريم عن السفن بلفظة « الجارية » فى آيتين من آياته فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** (١١) ﴾ [الحاقة] ،وقوله تعالى: ﴿ **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ** (١٢) ﴾ [الغاشية] .

المواد الخام التى تقوم عليها النجارة :

ورد ذكر المواد الخام التى يعمل بها من يقوم بمهنة النجارة وهى الخشب الذى هو مادة النجارة فى القرآن الكريم ومن هذه المواد :

السدر والخمط والأثل: الخمط والأثل والسدر من الأشجار المعروفة فى كل مكان من جزيرة العرب [٢] ، وورد ذكره بقوله تعالى : ﴿ **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ** (١٦) ﴾ [سبأ] ، كما ورد السدر فى قوله تعالى : ﴿ **فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ** (٢٨) ﴾ [الواقعة] ، « والخمط : شجر الأراك ، أوكل شجر ذى شوك يشبه الطرفاء ، والسدر : شجر النبق ، وهو أجود ما صار لهم ولم يعد لهم منه إلا القليل » [٣] .

صناعة المعادن :

لأهمية المعادن فى حياة البشرية وجدت سورة فى القرآن الكريم تسمى سورة الحديد رقم (٥٧) إنها سميت باسم خام الحديد لبيان عظمته وأهميته للإنسان ، وتبين ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الفرد المسلم والكون بمحتوياته .

وفى نفس السورة يقول تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** (٢٥) ﴾ [الحديد] ، « أى : أنشأنا وخلقنا الحديد ﴿ **فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** ﴾ الكراع والسلاح والجنة ، وقوله : ﴿ **وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ مثل استخدامه فى صناعة السكين والفأس والإبرة ونحوه » [٤] .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .
(٢) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٦١ .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله : إن التعبير بأنزلنا الحديد يشير إلى إرادة الله وتقديره فى خلق الأشياء والأحداث ، فهى منزلة بقدر وتقدير وهو قوة فى الحرب والسلم وفيه منافع للناس وتكاد حضارة البشرية القائمة الآن أن تقوم على الحديد .

ويقول تعالى فى موضع آخر مشيراً فيه إلى مدى تحمل الحديد فقال تعالى : ﴿ **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** (٥٠) ﴾ [الإسراء] ، والمعنى : « لو كنتم حجارة أو حديداً لأعادكم كما بدأكم » (١) .

وسوف نستعرض بعض المهن المتصلة بالحديد والمعادن بصفة عامة ، ثم نتعرض لبعض المنتجات التى كانت تعمل من هذه المعادن .

الحدادة :

الإنسان الذى يصنع الأدوات أو الآلات من معدن الحديد يسمى حداداً ، فالحداد هو معالج الحديد ،ويعرف أيضاً بالقين ، « فالقين الحداد وجمعه قيون » (٢) ، « ومهنة الحدادة قديمة جداً فقد مارسها العرب فى الجاهلية » (٣) ، « وقد اختص بها بنو قينقاع » (٤) .

وفى القرآن إشارة تدل على أن حرفة الحدادة كانت معروفة للعرب قبل الإسلام حيث ورد : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** (١٠) ﴾ [سبأ]

وفى هذه الآية : « يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه السلام أن صير له الحديد يشكله كما يشاء » (٥) ، فيستطيع تشكيله على أى شكل حسب الحاجة .

وقد كان الحدادون يستخدمون بعض الأدوات التى تمكنهم من القيام بأعمالهم ، ومن أهم الأدوات التى كان الحداد يستعين بها أثناء عمله ليتمكن من تأمين الأشياء التى يريد صنعها هى المطارق،وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** (٢١) ﴾ [الحج] ، « والمقامع : المطارق ، وهى المرازب أيضاً ، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب أى تذلله » (٦) ، وسوف نستعرض بعض منتجات الحدادة من الأسلحة .

الأسلحة :

يبدو أن المسلمين الأوائل قد استعملوا أنواعاً مختلفة من الأسلحة التى كانت

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص ٢٧٤ .
(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٦٠ .
(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .
(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٣ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٢٧ .

معروفة فى عصرهم تبين ذلك من ذكر بعضها فى القرآن الكريم .

وتلك الأسلحة لم تكن وليدة المجتمع العربى : بل كانت معروفة منذ أمد طويل وعند أمم مختلفة .

« وقد أخذت مكة نصيبها من صناعة الأسلحة ، يقول حسين مروة : وإنه لذو دلالة مهمة فى موضوعنا هنا ، أن نجد صناعة الأسلحة بين الصناعات المنسوبة إلى مكة حينذاك » (١) .

ومما يؤكد ذلك أن : « خباب بن الأرت كان يعمل السيوف فى الجاهلية ، وخباب صحابى من أصحاب رسول الله ﷺ ، كان من المسلمين الأولين الذين أعلنوا إسلامهم وعذبوا فيه ، وعليه فلابد أنه كان بمكة » (٢) .

إن صناعة الأسلحة ومنها السيوف كانت متوفرة أيضاً فى (نجد) ، يقول الكتانى : « عن ابن إسحاق أنه ﷺ بعث سعيد بن زيد إلى نجد ليبتاع له الخيل والسلاح ، واتخذ ﷺ أنواعاً مختلفة من السلاح التى كانت موجودة إذ ذاك عند الأمم . كان له من السيوف تسعة لكل واحد اسم يخصه » (٣) .

وسوف نستعرض بعض أنواع الأسلحة كما ذكرت فى القرآن الكريم :

أ ـ الرماح :

الرمح من الأسلحة التى تستعمل لطعن العدو ، ويبدو أن العرب فى العصر الإسلامى الأول قد استعملوا أنواعاً مختلفة من الأسلحة التى كانت معروفة فى ذلك العصر ومنها الرماح ، وقد ورد ذكر الرماح فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٩٤) ﴾ [المائدة] .

« والرمح كان يتكون من ثلاث أقسام هى : القناة ، والسنان ، والزج ، والقناة هى القائم الذى يدخل فى أعلاه السنان ويثبت فى أسفله الزج ، والسنان : هو النصل وكان يصنع من حديد » (٤) .

وكان « نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يتجر فى الرماح وبها فدى نفسه لما أسر

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، نقلها من حسين مروة : النزعات المادية فى الفلسفة العربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفارابى ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٩٧ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ ـ ١٣٦ .

فى غزوة بدر ، وكانت ألف رمح ، وفى طبقات ابن سعد لما أسر نوفل بن الحارث ببدر قال له النبى ﷺ: «افد نفسك برماحك التى بجدة »، قال: أشهد أنك رسول الله، ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح، وقد أعان النبى ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح » (١) .

ب ـ صناعة الدروع :

« الدِّرع : لبوس الحديد ، تذكر وتؤنث ، والجمع فى القليل : أدرع ، وأدراع ، وفى الكثير : دروع » (٢) ، ويتضح أنها من الأسلحة التى استعملت قديماً .

وقد ورد ذكر الدرع فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾** ﴾ [سبأ] .

وهذه سورة واضحة تبين لنا أن داود عليه السلام عمل بصناعة الحديد فكان فى يده كالعجين ، وعمل منه السابغات أى الدروع الواسعة المحكمة الصنع ، وكان الدرع من ضمن الأسلحة المستخدمة قديماً ، وربما تعلم آل داود ومنهم ابنه سليمان صناعة الدروع أيضاً .

جـ ـ صناعة القسى والسهام :

« القوس : يذكر ويؤنث والجمع : قسى وأقواس » (٣) ، والقوس والسهم سلاح يمكن أن يستعمله المشاة إذا ركبوا الخيل ، فالقوس هو الآلة التى تمسك باليد ، ويشد وترها شداً قوياً ، ليرمى السهم إلى الهدف المراد رميه ، وكلما كان الشد قوياً صارت الرمية بعيدة مؤثرة (٤) .

وقد ورد ذكر القوس فى القرآن الكريم وذلك فى قوله : ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾** ﴾ [النجم] ، « أى : فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قدر قوسين إذا مدا ، وقد قيل : إن المراد بذلك بُعد ما بين وتر القوس إلى كبدها » (٥) .

ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أن العرب كانوا يعرفون القوس ويتخذونه كآلة من آلات الصيد والحرب ، وكانوا يضعون فيه السهم « ويسمونه النبل ، وهو ما يرمى فى

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٨١ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٥٥ .
(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .

الهدف ، أى هو قذيفة القوس ، فإذا وضع فيه النصل الحديد فهو السهم » (١) .

وقد كان « يصنع القوس من أنواع مختلفة من خشب الأشجار ، أما الوتر فيصنع عادة من الجلد ، أما النصل فكان يصنع من الخشب أو الحديد » (٢) ، « ولقد عدت الرماية من جملة الخصال العالية فى الشخص المكملة للإنسان ، وقد اشتهر فى الجاهلية قوم بدقة رمايتهم ،وإذا أرادوا وصف رجل بدقة الرمى ،قالوا فيه : كان من أرمى الناس ، وكانت الرماية دراسة يتعلمها الرامى من رماة ماهرين ، وقد استعان الفرس والروم والرومان بالرماة الماهرين من العرب ،فكونوا منهم فرقاً خاصة من جيوشهم ، وقد كان فى صفوف قريش والوثنيون جماعة من الرماة المهرة الذين يصيبون الأهداف » (٣) .

ونستطيع بناء على ماتقدم أن نقول : إن صناعة الأسلحة كانت متوفرة فى عهد رسول الله ﷺ وحض عليها الإسلام .

د ـ صناعة السكين :

أشار القرآن الكريم إلى السكين فى قصة يوسف وامرأة العزيز إذ يقول تعالى : **﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾** [يوسف] ، وقوله : « **﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾** بالمدى حتى بلغت السكاكين إلى العظم » (٤) ، وفى ذلك إشارة إلى معرفة صناعة السكين واستخدامها .

صناعة المسامير :

عرف المسلمون صناعة المسامير وتبين ذلك من قوله تعالى : **﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) ﴾** [القمر] ، « قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظى وقتادة وابن زيد : هى المسامير » (٥) ، أى: أن ألواحها قد التصقت بعضها ببعض بـ « دسر » وهى المسامير .

وفى ذلك دلالة على معرفة المسلمين للمسامير واستخدامها فى تثبيت ألواح السفينة .

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٧٩ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

السباكة :

« سبك المعادن وغيرها :إذابتها » [١] ، « والسبيكة : عبارة عن خليط أو مركب من معدنين أو أكثر يمكن الحصول عليه أحياناً بخلط المعادن فى الحالة المنصهرة » [٢] ، ونعنى بالسباكة الانصهار بين المعادن المختلفة .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن واقعة استخدمت فيها السباكة ـ حسب مفهومنا الحديث ـ فى قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)** ﴾ [الكهف] .

وفى الآيات السابقة يخبر الله تعالى عن ذى القرنين أنه سلك طريقاً بين الشرق والغرب حتى وصل إلى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين ، وهناك وجد قوماً لا يفقهون ما يقال لهم إلا فى عسر ومشقة ، فلما آنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سداً فى وجه يأجوج ومأجوج ، وقد كانوا يغيرون عليهم ، فيفسدون فى أرضهم ويخربون ، على أن يجعلوا له ضريبة فى نظير هذا العمل ، فرد عليهم قائلاً : إن الذى أعطانى الله من الملك والتمكين خير لى من الذى تجمعونه ولكن ساعدونى بعملكم وآلاتكم واجمعوا قطع الحديد ، فنضعها فوق بعضها من الأساس ، حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضاً ، أوقد عليه النار حتى صار كله ناراً ثم أفرغ عليه نحاساً مذاباً ، فتماسك النحاس والحديد وكون سداً (سبيكة) منيعاً ، فلم يستطع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله [٣] .

إن الناظر فى الآيات السابقة يلاحظ إجمالاً عاماً فى الوقائع ؛ لأن ذا القرنين حينما ساوى بين الصدفين ثم جعل النار تصهره ، كان من ذى قبل مكلفاً فرقة أخرى بإذابة النحاس ، غير تلك التى كانت تعمل معه فى إذابة الحديد .

فإذا ما ذاب الحديد دعا من كلفوا بإذابة النحاس حتى يدمج الاثنين معاً ، ثم تركهما ليبردا فيتماسك الحديد والنحاس مكوناً سبيكة ذات خواص جيدة لم تكن

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤ .

(٢) عباس عبد العظيم مصطفى وآخرون : خامات ومعادن للصناعات الميكانيكية ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٢٧ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

موجودة أصلاً فى كل معدن على حدة ، ونستدل مما سبق أن ترتيب العمل شيء واجب ومفروض ، إذ إننا نجد أن ذا القرنين قد رتب عمله فى خطوات علاوة على توزيع العمل على مجموعات ، وبالتالى نستطيع أن نؤكد أن السابقين قد عرفوا العمل التعاونى وأهميته وقاموا به علماً وعملاً .

كما أننا نعلم أن درجة انصهار النحاس «١٠٨٣م» (١) ، وأن درجة انصهار الحديد النقى تماماً «١٥٣٩م» (٢) ، أى أن درجة انصهار المعدنين مختلفة تماماً ، وهذا يستلزم بالطبع أن يسبق انصهار الحديد انصهار النحاس حتى يكون المعدنان فى لحظة واحدة قد وصلا إلى درجتى الانصهار الكامل فيذوبان فى بعضهما ذوباناً تاماً ، فيكونان السد ، وقد ذكر فى الآية السابقة أن النحاس والحديد وضعا فى لحظة واحدة فبعد أن صهر الحديد وضع النحاس المذاب عليه .

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن السابقين كانوا على علم ومعرفة بصفات وخصائص المواد وهو علم حديث له أصوله وقواعده ، وإن لم يطلقوا عليه اسم علم الخامات والمعادن كما نسميه الآن .

كما وردت السباكة فى موضع آخر من القرآن الكريم إذ يقول تعالى : ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ** (١٧) ﴾ [الرعد] ، « وقد اشتملت هذه الآية على مثلين مضروبين للحق فى ثباته وبقائه ، والباطل فى اضمحلاله وفنائه ، وقوله : ﴿ **وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ** ﴾ هذا هو المثل الثانى وهو ما يسبك فى النار من نحاس وحديد فيجعل متاعاً فإنه يعلوه زبد منه ، هذا الزبد لا يثبت مع النحاس أو الحديد أو نحوهما مما يسبك فى النار بل يذهب ويضمحل ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً** ﴾ أى لا ينتفع به بل يتفرق ، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد يذهب ولا يرجع منه شيء » (٣) .

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن حرفة السباكة كانت معروفة للعرب قبل الإسلام ، وكانوا يصنعون منها السدود والحلى والأدوات والسلاح ، وحض عليها الإسلام

---

(١) مصطفى عبد الموجود : الجديد فى الخامات والمعادن ، مكتبة العهد الجديد بالفجالة ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٣ .

(٢) انظر : أ ـ المرجع السابق .

ب ـ عباس عبد العظيم مصطفى : خامات ومعادن للصناعات الميكانيكية، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

لضروريتها فى حياة الأفراد والمجتمعات .

الصياغة :

« صاغ الشيء ، فهو صائغ ،(وصواغ) و(صياغ) أيضاً فى لغة أهل الحجاز ، وعمله الصياغة » (١) .

ولقد كانت الصياغة معروفة قبل الإسلام إذ جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى مهنة الصياغة حين حدثنا عن بنى إسرائيل ، وكيف « أنهم جعلوا من حليهم المخصصة للزينة جسماً على صورة العجل الذى لا يعقل ولا يميز ، له صوت يشبه صوت البقر ، مما أودع فيه من الصناعة،فقد جعلوا فيه فراغات حين تمر فيه الريح يحدث صوتاً (خوار) ، وصنعه لهم السامرى وأمرهم بعبادته » (٢) ، فقال تعالى : ﴿ **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** (٨٨) ﴾ [طه] ، وقال أيضاً : ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ** (١٤٨) ﴾ [الأعراف] .

وقد وجدت مهنة الصياغة فى عهد فرعون أيضاً ويتضح ذلك من قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** (٥٣) ﴾ [الزخرف] .

« وكانت العادة فى هذا الوقت وبخاصة فى عهد فرعون أن يسوروا الرجل بسوارين ويطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته ، فقال فرعون : هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان صادقاً » (٣) .

وفى هذا دلالة على أن مهنة الصياغة قديمة جداً ، ولمعرفة العرب بها وحبهم لها وعدهم الله سبحانه وتعالى بها فى الجنة فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** (٢٣) ﴾ [الحج] .

وقال أيضاً : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** (٢١) ﴾ [الإنسان]،وقوله: ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ** ﴾ [الكهف: ٣١]،« وجمع سوار (أسورة)،وجمع الجمع (أساورة)،وقد يكون جمع أساور » (٤) .

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٧٣ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ١٠٠ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

ولما نهى رسول الله ﷺ عن الشراب فى إناء من ذهب أو فضة لما فيه من ترف كبير فقد وعدهم الله تعالى بها فى الآخرة فقال تعالى : ﴿ **وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)** ﴾ [الإنسان] ، « أى يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية من فضة ، ولم ينف الأوانى الذهبية ، بل المعنى يسقون فى أوانى الفضة ، وقد يسقون فى أوانى الذهب » (١) ، أى أننا نلاحظ أن عمل الصاغة لم يقتصر على الحلى بل تعداها إلى صناعة الأوانى .

ولم تكن الأوانى الفضية أو الذهبية حديثة عهد حين نزل القرآن وإنما كان العرب يعرفونها فقد كانت تصنع منذ عهد بعيد ، ويتبين ذلك من قوله تعالى فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)** ﴾ [يوسف] ، « والسقاية والصواع شىء واحد والصواع : لغة من الصاع وقيل : هو إناء يشرب فيه » (٢) ، « وقال عكرمة : كان إناء من فضة ، وقال عبد الرحمن بن زيد : كان من ذهب » (٣) .

ولمعرفة العرب بمهنة الصياغة فقد ضرب بها المثل فقال تعالى : ﴿ **وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)** ﴾ [الرعد] ، « وفى هذه الآية يضرب الله المثل للحق والباطل ، فالأول يبقى والثانى يذهب ، ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة ، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس والرصاص ، ومنها ما لا نفع فيه يعلو السطح ، وأن ما لا نفع فيه يرمى وينبذ ، وما فيه النفع يبقى » (٤) ، وهو ما خلص من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص .

إن العرب كانوا يمارسون مهنة الصياغة فكانوا يشتغلون بصاغة الحلى وكانوا يصنعونه من معادن مختلفة .

ومما يؤكد اشتغال المسلمين الأوائل بصناعة الحلى قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨)** ﴾ [مريم]

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .
(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٧٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ .
(٤) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٣٥٦ .

وفى تفسير هذه الآية يقول الإمام القرطبى : « كان الخباب قيناً (حداداً) فصاغ حلياً ثم تقاضى أجرته من العاص ، فقال العاص : ما عندى اليوم ما أقضيك ، فقال خباب: لست بمفارقك حتى تقضينى ،فقال العاص: يا خباب ، مالك ؟ ما كنت هكذا ، وإن كنت لحسن الطلب ؟ فقال خباب : إنى كنت على دينك فأما اليوم فأنا على دين الإسلام مفارقاً لدينك ، قال : أولستم تزعمون أن فى الجنة ذهباً وفضة وحريراً ؟ قال خباب : بلى ، قال : فأخرنى حتى أقضيك فى الجنة ـ استهزاء ـ فوالله لا تكون أنت يا خباب وأصحابك أولى بها منى ، فأنزل الله تعالى الآية السابقة » (١) .

والملاحظ على التفسير السابق أن المسلمين الأوائل لم يكن عندهم تفرقة بين الحدادة والصياغة بل كانت مهنة واحدة ، ويبدو أنها لم تنفصل عن بعضها إلا فى العصور الحديثة ، حين ظهر عصر التخصص ، ومن وجهة نظر الباحث (٢) أنه لا يوجد فروق جوهرية بين مهنتى الحدادة والصياغة إلا أن حجم المصوغات يكون صغيراً عكس حجم المشغولات التى تشكل بالحدادة .

وكان الخلخال من أدوات الزينة التى تستعملها النساء ، يوضع على الساق ، يصاغ من الذهب أو الفضة ، ولا يزال يستعمل حتى الآن فى بعض المناطق العربية ، وللأجراس الصغيرة التى تعلق به رنين خاص ونغمات ، وقد نهى الإسلام عن تبختر النساء بالخلاخل ، وإثارتهن نغماتها ، لما فى ذلك من إثارة للرجال وتأثير عليهم ، وذلك فى قوله : ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾ [النور] .

مما سبق نستنتج أهمية الصياغة فى المجتمع ، وممارستها فى المجتمع الإسلامى الأول على يد صحابة رسول الله ﷺ .

الخامات التى تصنع منها الحلى والمشغولات :

أ ـ النحاس :

« النحاس : معروف و (النُّحاس) أيضا دخان لا لهب فيه » (٣) . وقد ورد ذكر النحاس فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ** ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرحمن] ، وقال صاحب مختار الصحاح أيضاً : « القِطْر : بوزن

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) الباحث متخصص فى هذا المجال حيث إنه حاصل على بكالوريوس العلوم والتربية تخصص ميكانيكا تشغيل وتشكيل المعادن.

(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٤٩ .

القطْر النحاس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] » (١) ، وقيل : القطر هو : « النحاس الذائب » (٢) .

وقد ورد ذكر القطر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) ﴾ [الكهف] ، وقد أَسَالَ الله النحاس لسليمان : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) ﴾ [سبا] .

مما سبق يتبين لنا أن العرب والمسلمين قد عرفوا النحاس واستخدموه فى صناعات متعددة .

ب ـ الذهب والفضة :

« الذهب : معروف ، وربما أنِّث ، وشىء (مذهب) أى مموه بالذهب » (٣) ، وهو من أثمن المعادن ويقبل الطرق والتشكيل أكثر من غيره ، « والفضة معروفة ، ولجام مفضض أى مرصَّع بالفضة » (٤) .

وقد ورد ذكر الفضة والذهب فى مواضع عدة من القرآن الكريم منها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) ﴾ [التوبة] ، وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ [فاطر] .

مما سبق يمكننا القول بأن صناعتى الذهب والفضة كانتا معروفتين فى شبه الجزيرة العربية فعملوا منهما الحلى والأوانى .

جـ ـ اللؤلؤ والمرجان :

« (اللؤلؤ) : الدُّر ، والجمع (اللؤلؤ) و (اللآلئ) » (٥) . وهو يستخرج من

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٤٢ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠٦ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٨٧ .

أصداف يحصل عليها الغواصون من قاع البحر ، « والمرجان : صغار اللؤلؤ » (١) .

وقد ورد ذكر اللؤلؤ فى قوله تعالى : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** (٣٣) ﴾ [فاطر] ، ونستدل من هذه الآية أن اللؤلؤ يدخل فى صناعة الحلى ومنها الأساور كما ورد ذكر المرجان فى قوله تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** (٢٢) ﴾ [الرحمن] ، وقوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** (٥٨) ﴾ [الرحمن] ، ويقول تعالى : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٢) ﴾ [فاطر] ، « والحلية تستخرج من الملح،وقيل : إنما تستخرج من الأصداف التى فيها الحلية من الدّر،والحلية مثل اللؤلؤ » (٢) .

د ـ الياقوت :

ورد ذكر الياقوت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** (٥٨) ﴾ [الرحمن] ،وجاء فى تفسير الإمام ابن كثير :« كأنهن الياقوت صفاء ، والمرجان بياضا ، ومما يدل على أن الياقوت مشهور بنقائه وصفائه ؛ لأن الياقوت حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه » (٣) .

صناعة النقود :

عثر الباحثون على نماذج من نقود جاهلية تعود إلى عهود مختلفة فى مواضع متعددة مختلفة من جزيرة العرب ، وقد استعمل أهل الجاهلية النقود فى معاملاتهم ، واستعملوا نقوداً سُكَّت من ذهب ، ونقوداً سُكَّت من فضة ، وأخرى سُكَّت من نحاس ، ومن معادن أخرى ، وقد عثر على نماذج من كل نوع من هذه الأنواع ، كما تعاملوا بالنقود الأجنبية كذلك ، مثل النقود اليونانية والرومانية والمصرية والحبشية والفارسية ، وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم ، وهو الرطل الذى هو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية هى أربعون درهماً (٤) ، « وقد ذكر أهل الأخبار أن أهل المدينة كانوا يتعاملون بالدراهم عند مقدم الرسول ﷺ » (٥) .

ولما كان النقد قليلاً فى تلك العهود فى جزيرة العرب ، وبين الأعراب خاصة ،

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٣٣٤ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ .
(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٨ .

كانت طريقة المقايضة هى الطريقة الغالبة ، وأقصد بالمقايضة مبادلة حاجة بحاجة ومادة بمادة أخرى، وكان العرب يبيعون بالنقد لحاجتهم إليه، ويهتمون بالذهب منه خاصة [1] .

وقد ورد ذكر الدينار فى قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾** ﴾ [آل عمران] .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « الدينار معروف،وسمى بالدينار ؛ لأنه دين ونار ، وقيل معناه : من أخذه بحقه فهو دينه ، ومن أخذه بغير حقه فله النار » [2] ، كما أشير إلى الدرهم فى قوله تعالى : ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾** ﴾ [يوسف] .

ويلاحظ الباحث أن معظم التفاسير قد تناولت الدراهم من ناحية بيان العدد والكم ، وليس الكيف ، فقال أناس : إن إخوة يوسف باعوه بعشرين درهماً ، وقيل : اثنان وعشرون درهماً ، وقال آخرون : أربعون درهماً ، وهذا يدل على أن الدرهم كان معروفاً فعلاً ولم يكن بحاجة إلى تعريف ، « فالدراهم على عهد رسول الله ﷺ كانت على نوعين ، السوداء الدامية ، وزن الدرهم منها ثمانية دوانق ، والطبرية وزن الدرهم منها أربعة دوانق ؛ ولذا نستطيع أن نقول : إن من قال: إن الدرهم لم يكن معلوماً فى زمن النبى ﷺ هذا قول فاسد لم يكن القوم ليجهلوا أصلاً من أصول الدين فلا يعلمون فيه نصاً ، وقد كان النبى ﷺ يخرج السعاة فلا يجوز أن يظهر بهم جهل كهذا ، ولم يأت ما قاله من طريق صحيح .

وقال أبو عمر بن عبد البر وعياض : لا يجوز أن تكون الأوقية على عهد رسول الله ﷺ مجهولة المبلغ من الدراهم فى الوزن ثم يوجب الزكاة عليها ، وهو لا يعلم مبلغ وزنها وتقع بها البيوعات والأنكحة ، وهذا يبين أن قول من قال : إن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمن عبد الملك فى جمعها برأى الفقهاء وهم ، وإنما معنى ذلك أنها لم تكن من ضرب أهل الإسلام ، وإنما كانت مجموعات من ضرب فارس والروم وصغار وكبار ، أو قطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة يمانية ومغربية ، وبعد ذلك فى أيام عبد الملك كرهوا الضرب الجارى من ضرب الروم فردوها إلى ضرب الإسلام » [3] .

« وضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم سنة ٧٥ هجرية ، وهو أول من

---

(١) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٦ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .

(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

أحدث ضربها ونقش عليها » (١) .

وقد كان العرب يتعاملون بالدنانير الرومية إلى أيام عبد الملك ، حيث أمر بضرب الدنانير ، فضربت بدمشق وقد نعت الدنانير الجديدة بـ «أحرش» إذ كانت فيه خشونة لجدته (٢) .

إن « مقدار النقد كان معلوماً زمن رسول الله ﷺ ، وكيف لا يكون معلوماً وقد تعلق به ركن من أركان الإسلام وهو الزكاة وغيرها من الحقوق والمقادير الشرعية »(٣) .

البناء والعمارة والنحت :

عرف المسلمون فن البناء والعمارة والنحت ، وهى من الصنائع التى ذكرت فى القرآن الكريم،وقد مارسها الأنبياء والأتباع على السواء،قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)** ﴾ [البقرة] .

« والقواعد : الأساس وقيل : هى الجدر والمعروف أنها الأساس » (٤) .

وهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عملا بمهنة البناء ولم ينكر عليهما الإسلام ذلك ، بل يذكر القرآن الكريم واقعة البناء فى أكثر من موضع إذ يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)** ﴾ [الحج] ، « أى أريناه مكانه ليبنيه » (٥) .

إن فى ذلك دعوة من الإسلام لتعلم أصول البناء ، دعوة إبراهيم وإسماعيل لبناء الكعبة ، ولم تكن الكعبة أول بيت يبنى ، وإنما كانت هناك بيوت كثيرة ، « ولكنها كانت أول بيت وضع للعبادة » (٦) ، إذ يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)** ﴾ [آل عمران] .

ومثلما دعا الإسلام إلى العمارة فقد نهى عن الخراب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)** ﴾ [البقرة] ، « إنه بيان من الله لمن سعى فى خراب الكعبة ، وقيل: المراد سائر المساجد،إنه لذو ظلم عظيم » (٧) ،

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١٧ .
(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٧ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٢٠ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٣٦ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٧) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

ونستوحى من هذه الآية فضل وثواب البناء والعمارة ، وذنب من سعى فى هدمها وخرابها .

إن تشييد المساجد علامة من علامات الإيمان إذ يقول تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة] .

والمعنى أنه « ما كان للمشركين أن يعينوا على عمارة مساجد الله » (١) ،إذ أنها من عمل المؤمنين : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة] .

إن حرفة البناء قديمة جداً ، وإلا ما طلبت آسية بنت مزاحم زوجة فرعون أن يبنى لها بيتٌ فى الجنة لولا أنها تعرف معنى البناء ، يقول تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم] .

ولقد أمر الله موسى وأخاه هارون ببناء المنازل بمصر فقال تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس] .

كما سخر الله سبحانه وتعالى الجن لسليمان : ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] ، « فقد كان الجن يبنون له المساجد » (٢) ، « وكانوا ينحتون من الجبال أحواضاً ليجىء فيها الماء للإبل ، وقدوراً تنحت من الجبال الصم وكانت ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها » (٣) ، أى أنها لم تكن مجرد نحت أو بناء أو خلق ، إنما هى صنعة وإتقان .

ويقول تعالى : ﴿ **وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [ص] ، أى : « أن الشياطين كانوا يبنون لسليمان ما يشاء » (٤) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٨٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٧١ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٧٦ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٢٠٦ .

ولقد امتازت قوم عاد وثمود بالعمارة فقال تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾ [الفجر] ، وذات العماد : تعنى ذات الأبنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ، وقيل : كانوا يحكمون البناء بالعمد (١) .

إنه لعظم البنيان عند أهله وحرصهم عليه ، حيث إن تملك العقارات قد يكون غريزة فى الإنسان ، فقد عاقب الله الذين كفروا به وأشركوا فى عبادته غيره ، بأن اجتث بنيانهم من أصله : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النحل] ،فالقواعد : أصول البناء ، وإذا اختلت القواعد سقط البناء (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف] ، إنها دلالة على اتخاذ البيوت والمنازل منذ زمن قديم ، يصعب تحديد بدايته ، ومن ثم يصعب تحديد نشأة علم البناء تحديداً علمياً دقيقاً .

ولقد كانت حرفة البناء منتشرة فى عهد رسول الله ﷺ إذ يقول تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة] ، أى: « من أصل بنيانه ، والمراد أصول البناء » (٣) ،وقد نزلت هذه الآية فى قوم بنوا مسجداً بقصد تفريق المسلمين ، وقد دعوا رسول الله ﷺ للصلاة فيه فنهاه ربه عن الصلاة فيه (٤) ، وفى هذا دليل على قيام مهنة البناء فى عهده ﷺ .

ويقول تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] ، « وواحد البروج : برج ، وهو البناء المرتفع والقصر العظيم » (٥) ، وهذا يؤكد أن أصحاب رسول الله ﷺ والعرب عامة يعرفون البناء والقصور وأنها كانت موجودة وقت نزول القرآن الكريم .

ولقد نبغ العرب فى البناء حتى أنهم برعوا فى بناء القصور ؛ ولذا يقول تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفرقان] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٩٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٦٣ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

ومما يؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الشعراء] ، أى : « تنحتون من الجبال بيوتاً حاذقين » (١) ، وفى ذلك دليل على إتقان العرب لفن البناء والنحت والعمارة .

ويقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف] ، أى تبنون القصور بكل موضع ، وتتخذون البيوت فى الجبال ، واستدل بهذه الآية على جواز البناء الرفيع ، وبقوله تعالى : « ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وقد ذكر أن ابناً لمحمد بن سيرين بنى داراً وأنفق فيها مالاً كثيراً ، فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال : ما أرى بأساً أن يبنى الرجل بناءً ينفعه » (٢) .

« وسمى القصر قصرا؛ لأن من فيه مقصور عن أن يوصل إليه ،وكانت قريش ترى البيت من حجارة قصراً كائناً من كان ، وقيل : العرب تسمى بيوت الطين قصراً » (٣) .

كما كان العرب ينحتون من الجبال ومن الأحجار أصناماً يعبدونها ؛ ولذلك عاب عليهم سبحانه وتعالى تفكيرهم : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الصافات] ، ويبدو أن النحت كان منذ زمن بعيد إذ يقول تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الحجر] ، وكانت تبنى هذه البيوت « بواسطة النحاتة والبراية » (٤) .

ومما يدل على وجود الأبنية فى العهد الإسلامى الأول قوله تعالى : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر] ، أى : أن أعداء الإسلام فى محاربتهم مع المسلمين كانوا يستترون وراء الأبنية ظناً منهم أنها تحميهم .

إن التوفيق للبناء نعمة من الله تعالى إذ يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل] ، يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « جعل لكم معناه : صيّر ، وكل ما علاك وأظلك فهو سقف وسماء ، وكل ما

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٢٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ٦ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٥٣ .

حملك فهو أرض، وكل ما سترك من جهاتك الأربع فهو جدار ؛ فإذا انتظمت واتصلت فهو بيت » [1] ، ويقول تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) ﴾ [الشعراء] ، « أى : منازل، وقيل : قصوراً مشيدة ، فهل تخلدون ؟! إنه استفهام بمعنى التوبيخ » [2] ، لمن ظن أنه قد امتلك الكون لمجرد أنه قد برع فى البناء والتشييد وأن هذا البنيان خالد وأنه خالد معه .

إن حب البناء والتشييد غريزة فى النفس؛ ولذلك وعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده الصالحين بقصور فى الجنة ، ووصف الفائزين بها بقوله تعالى : ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) ﴾ [الزخرف]، أى : «وجعلنا للأبرار بيوتاً أبوابها من فضة » [3] .

إنها ليست العمارة المتمثلة فى الأرض والجدر والسقف ، ولكنها العمارة المتكاملة والشاملة الأبواب أيضاً .

فلم يكن العرب حين نزول القرآن يهتمون بالبناء فقط ، إنما كانوا يهتمون بالعمارة ككل من جدر وأسقف وأبواب وغيره، حتى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى معرض حديثه عن أحكام الحج يذكر الباب فيقول تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) ﴾ [البقرة] .

« وكان الأنصار إذا حجوا وعادوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ، فإنهم كانوا إذا خرج الرجل منهم بعد إحرامه من بيته ، فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء ، فكان يصعد ظهر بيته على الجدران ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته، وكانوا يرون هذا من النسك » [4]، فنزلت الآية السابقة .

كما ورد ذكر الباب فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾ [البقرة] ، « والباب الذى أمروا بدخوله هو باب بيت المقدس ، وقيل : باب القبة التى كان يصلى إليها موسى وبنو إسرائيل » [5] .

ولقد ورد ذكر البيوت أو الديار فى مواضع عديدة منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٢٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٨٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ [النور] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾ [البقرة] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) ﴾ [هود]،وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ﴾ [البقرة]

« والدار : المنزل الذى فيه أبنية ، وسميت داراً لدورها على سكانها ، كما نسمى الحائط حائطاً لإحاطته على ما يحويه » (١) .

ويميز سبحانه وتعالى بين المكان المعمور والمهجور فيقول تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد] ، وفى الكلام حذف والمعنى : « وفى الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات ، والمتجاورات المدن وما كان عامراً ، وغير متجاور : الصحارى وما كان غير عامر » (٢) .

تعميق الإدراك بالعمارة والبناء من خلال القصص القرآنى :

« كان للبناء والعمارة دور فى قصة قرية خاوية لا أنيس فيها ، أحياها الله ، وكان إحياؤها بالعمارة ووجود البناء والسكان » (٣) ، ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [البقرة] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٨١ .
(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

ذكر الله سبحانه وتعالى البناء لما حكى القرآن الكريم قصة سيدنا موسى والرجل الصالح إذ عملا بحرفة البناء : ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)** ﴾ [الكهف] ، أى : « فوجد الرجل الصالح فى القرية جداراً يقترب من السقوط فهدمه ثم قعد يبنيه » (١) .

مما تقدم يظهر لنا توجيهات الإسلام وحثه على العمارة والبنيان ، علماً وعملاً وإتقاناً للعمارة بكل مشتملاتها من بناء الحوائط والأسقف والأبواب وغيره ، ولم يكتف بذلك بل وجهنا إلى اللمسات الجمالية فى العمارة .

الصيد :

لقد سخر الله للإنسان من ثروات البحر الكثير ، فالأسماك ذات قيمة عالية كعنصر غذائى يعتمد عليه سكان المناطق الساحلية خاصة فى حصولهم على احتياجاتهم من البروتين . ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)** ﴾ [النحل] .

واهتمام القرآن الكريم بالصيد يدل على مدى أهمية تلك المهنة ، فالصيد يعتبر مصدر من المصادر الأساسية فى المعيشة التى كان يتعيش عليها العرب والمسلمون وقت نزول القرآن الكريم ، وسوف نتكلم عن أنواع الصيد كما وردت فى القرآن الكريم :

أولاً : الصيد فى البر :

وينقسم إلى :

أ ـ الصيد بالسهم والرمح واليد :

عرف المسلمون الصيد بواسطة السهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى الصيد بهذه الطريقة فقال تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١)** ﴾ [المدثر] .

« وفى هذا تشبيه الكفار فى فرارهم من محمد ﷺ بالحمر الوحشية التى هربت من رماة يرمونها حيث يقول بعض أهل اللغة : إن القسورة هى الرامى » (٢) .

وقد أباح الإسلام أكل الحمر الوحشية ، وقد كان المسلمون يصطادونها ، فكانت تفر منهم ؛ لذا استخدمت فى التشبيه والتمثيل .

ويقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ**

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٤ ـ ٢٦ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾[المائدة] ، «ويبدو أن الله عز وجل خص الأيدى بالذكر؛ لأنها معظم التصرف فى الاصطياد »[1] .

وكان الصيد أحد معايش العرب ، وشائعاً عند الجميع منهم ، فابتلاهم الله فيه مع الإحرام ببعض الصيد تناله أيديهم مثل الفراخ وما لا يستطيع أن يفر، أما الرماح فتنال كبار الصيد [2] .

ب ـ الصيد بالكلاب المعلَّمة :

كان العرب والمسلمون يصيدون بواسطة الكلاب ، ولقد أباح الإسلام ذلك إذ يقول تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾** ﴾ [المائدة] ، أى : « أحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من الكلاب المعلمة والفهود والصقور وأشباهها » [3] .

« وقوله : ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ** ﴾ أى : حبس لكم » [4] ، وتدل الآية السابقة على أن المسلمين قد اقتنوا الكلاب للصيد وأنهم مارسوا الصيد بواسطتها،ولقد أباح الله الصيد ولم يقيده إلا فى حالة الإحرام إذ يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾** ﴾ [المائدة] ، أى : « ما كان صيداً فهو حلال فى الإحلال دون الإحرام بالحج والعمرة » [5] .

ويقول تعالى فى موضع آخر مؤكداً ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** ﴾ [المائدة : ٢] ، وفى ذلك أمر إباحة بالصيد ورفع ما كان محظوراً بالإحرام .

ثانياً : صيد البحر :

لقد وجهنا القرآن الكريم إلى صيد البحر فقال تعالى : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ**

---

(١) الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ٧٤٤ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦٩ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾ [المائدة] ، وفى هذا حكم بتحليل صيد البحر وفى نفس الوقت توجيه إلى الاستفادة من البحر والاشتغال بمهنة الصيد .

كما أشار إلى الصيد فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ « فجمع أصناف السمك بذكر واحد فكان صغاره ككباره » (١) .

إنها إشارات وتوجيهات إلى فضل البحر ، وإلى كيفية استغلال الطبيعة والتعامل معها ، وإن المسلم مطالب بأن يحسن التعامل مع الموجودات ، ومنها البحر يستطيع أن يصيد منه السمك بأنواعه ، وكذلك اللؤلؤ والمرجان .

ولقد كان اليهود يمارسون تلك المهنة من قديم الزمن ، فقد كانوا يصيدون الحيتان من البحر ، ولما نهاهم الله عن الصيد يوم السبت ، تعدوا فصادوها فى السبت ، وقد سجل ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾ [الأعراف] .

نستنتج مما ورد فى القرآن الكريم أن مهنة الصيد قديمة جداً وقد عمل بها اليهود وكذلك العرب والمسلمون ، وقد لفت الإسلام الأنظار إليها .

السقاية :

« روى عن ابن عباس ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [التوبة] إن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم،ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمر بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر ، فأمره رسول الله ﷺ أن ينشره فى الصدقات فسخر منه رجال وقالوا:إن الله ورسوله لغنيان عن هذا،وما يصنعون بصاعك من شىء » (٢). ومعنى ذلك أنه أجر نفسه ليجر الماء بالدلو إما لسقاء البعير أو لسقاء الزرع وغيره .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

« كما ذكر السدى فقال : افتخر العباس بسقاية الحاج وشيبة بالعمار وعلى بالإسلام والجهاد فصدق الله علياً وكذبهما » (١) . فقال تعالى : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)** ﴾ [التوبة] .

نستدل مما سبق أن الناس فى عهد رسول الله ﷺ كانوا يعملون بالسقاء .

الجزارة :

لقد وجدت الجزارة قبل نزول القرآن الكريم ، ثم احترفها بعض المسلمين ، ومما يؤكد ذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا يمارسونها ، ويتبين ذلك من قصة المقتول فى عهد موسى عليه السلام وقومه إذ أتى أهل المقتول إلى موسى عليه السلام لينبأهم بقاتله فقال لهم: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧)** ﴾ [البقرة] .

والمعنى : « أن الله يأمركم بذبح البقرة ثم ذبحوها ، وكان الأمر بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه» (٢).

ونستدل من هذه الآية أن مهنة الجزارة كانت موجودة فى عهد نبى الله موسى عليه السلام وأن قومه كانوا يمارسونها ، ولم ينكرها عليهم الإسلام ، بل أمر بها فى شعيرة الحج فقال تعالى : ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** ﴾

[البقرة : ١٩٦]

وفى قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾ ، أى : « لا تتحللوا من الإحرام حتى ينحر الهدى ،والمحل : الموضع الذى يحل فيه الذبح » (٣) ، « والهدى ما يهدى إلى بيت الله من بدنة وغيرها » (٤) ، « والنسك : جمع نسيكة ، وهى الذبيحة ينسكها العبد لله تعالى ، وقال ابن عبد البر : كل من ذكر النسك فى هذا الحديث مفسراً فإنما ذكره بشاة » (٥) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٩١ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص٣٧٨ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٦ .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى النسك فى موضع آخر من نفس السورة قائلاً : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)** ﴾ [البقرة] ، وقيل : « إن المناسك هى أيضاً بمعنى الذبائح وهراقة الدماء ، وقضيتم بمعنى أديتم وفرغتم » (١) ، ولقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض ما يذبح بقوله تعالى : ﴿ **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)** ﴾ [النحل] ، وقوله : « ﴿ **وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ أى : ومن لحومها تأكلون عند الذبح » (٢) .

وقد أكد سبحانه وتعالى على الانتفاع بالأنعام عن طريق الذبح فقال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩)** ﴾ [غافر] .

ولقد أمر الله رسوله بالذبح مباشرة بعد صلاة العيد فقال تعالى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)** ﴾ [الكوثر] ، « والمراد بالنحر : ذبح المناسك » (٣) .

إن البروتين الحيوانى لا يعادله ولا يعوضه أى بروتين مستمد من مصدر آخر ، لذلك أباح الله للإنسان أكل لحوم الأنعام كالأبقار والأغنام وغيرها، ولم يحرم أكل لحمها إلا فى بعض حالات محددة خشية إصابة الإنسان بالأمراض، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)** ﴾ [المائدة] .

والميتة : هى ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد ولما فيها من الدم المحتقن فهى ضارة للبدن ؛ ولهذا حرمها الله .

ما أهل لغير الله : ما ذبح من الحيوان وذكر عليه اسم غير الله .

المنخنقة : هى التى تموت بالخنق إما قصراً أو اتفاقاً بأن تتخبل فى وثاقها .

الموقوذة : هى التى تضرب بشىء ثقيل غير محدد حتى تموت .

المتردية : التى تسقط من شاهق أو من موضع عالٍ فتموت .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٧٠ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٩ .

النطيحة : التى ماتت بسبب نطح غيرها لها وإن جرحها القرن وخرج منها الدم .

ما أكل السبع : أى ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت وإن كان قد سال منها الدم فهى حرام .

ما ذكيتم : إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكى .

وما ذبح على النصب : كانت النصب حجارة حول الكعبة وكانت العرب فى جاهليتها يذبحون عندها وينضحون البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب ، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التى ذبحت على النصب وعدها من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ، وينبغى أن يحمل هذا على ما أهل به لغير الله (١) .

وثمة آيات كثيرة ذكرت أنواعاً مختلفة من الذبائح ، ومن ذلك :

البقر : ورد ذكر البقر فى تسع آيات قرآنية (٢) ، كان منها قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ** ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

الغنم : ورد ذكرها فى ثلاث آيات (٣) منها : ﴿ **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾** ﴾ [طه] .

الناقة : ورد ذكرها فى سبع آيات قرآنية (٤) منها قوله تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾** ﴾ [هود]

الإبل : ورد ذكرها فى آيتين اثنتين (٥) منهما قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾** ﴾ [الغاشية] .

الأنعام : ورد ذكرها اثنتين وثلاثين مرة (٦) ، منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾** ﴾ [محمد] .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦ ـ ١١ .
(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .
(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٦٤١ .
(٤) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٨٩٩ .
(٥) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٣ .
(٦) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

يبدو لنا مما تقدم أن الإسلام حض على الذبح ، وإن كان الذبح وظيفة الجزار ، وأن هذه المهنة قديمة جداً ، وقد احترفها المسلمون فى العصر الإسلامى الأول ، ولم يجدوا أى غضاضة فى ممارستها كأحد متطلبات دينهم ودنياهم .

الشواء :

« الشواء يقصد به اللحم ، ويقال : انشوى اللحم ، وأشويت القوم أى أطعمتهم شواء » (١) .

وقد استخدم شواء اللحوم منذ زمن بعيد ، فقد استخدمه إبراهيم عليه السلام إذ قرب إلى الملائكة ـ وهو لا يعلم كنههم ـ عجلاً مشوياً ويتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ **فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)** ﴾ [الذاريات] ، أى : « عدل إلى أهله وجاء ضيفه بعجل شواه لهم » (٢) ، كما ذكر ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)** ﴾ [هود] ، أى : « مشوى » (٣) ، وقيل : « إنه فتى البقر مشوى على الرضف والحجارة المحماة » (٤) .

نستخلص مما سبق أن الشواء حرفة كانت موجودة منذ زمن إبراهيم عليه السلام وامتدت إلى عهد رسول الله ﷺ ، وسوف يتأكد لنا ذلك فى الفصل القادم بإذن الله .

الحلاقة :

حين شرع الله سبحانه وتعالى مناسك الحج تعرض لحرفة الحلاقة فقال تعالى : ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)** ﴾ [البقرة] .

والآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يحلق رأسه حتى ينحر هديه ، وذلك أن سنة الذبح قبل الحلاقة ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ فبدأ بنحر هديه ثم حلق بعد ذلك ، ولا خلاف أن حلق الرأس فى الحج نسك مندوب إليه . وفى غير الحج جائز ،

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ص ٣٥٢ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٤٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٦٨ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .

وكان على بن أبى طالب ﷺ يحلق رأسه ، قال ابن عبد البر : وقد أجمع العلماء على إباحة الحلق (١) .

ويقول تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾ [الحج] ، والتفث فى كلام العرب إذهاب الشعث « من قص الشارب وحلق الرأس والعانة وأشباه ذلك»(٢)،«والمعنى: أى ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقى عليهم من أمر الحج كالحلق ورمى الجمار وإزالة الشعث ونحوه »(٣)،وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) ﴾ [الفتح] ، «والتقصير للرجال ؛ ولذلك غلب المذكر على المؤنث ، والحلق أفضل وليس للنساء إلا التقصير » (٤) .

إن فى ذلك لدعوة إلى الحلاقة والتزين فالنظافة ركن أساسى فى الدين الإسلامى.

حرفة الإرضاع :

كان المسلمون يرون أفضل مرضع للولد أمه ، وهو السائد فى المجتمع العربى البدوى ، إلا أنه يلاحظ فى مجتمعات الحواضر الشمالية وفى مكة بالذات أنه كانت من عادات أهلها ، إذا ولد لهم ولد ، أن يلتمسوا له مرضعة من غير قبيلتهم ؛ لأنه أنجب للفكر وأفصح للسان (٥) .

ويؤكد القرآن ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾ [البقرة] ، وقوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُم ﴾،أى:«إن تسترضعوا أجنبية لأولادكم » (٦). وعلى هذا يكون فى الآية دليل على جواز اتخاذ المرضعة إذا اتفق الآباء والأمهات على

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .
(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٩ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٢٩١ .
(٥) واضح الصمد:الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، ص ٣١٦ ، نقلها من : ليلى صباغ : المرأة فى التاريخ العربى قبل الإسلام ، دمشق ، ١٩٧٥ ، ص ٩٢ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

ذلك . « وكان يتمادى ذو الثروة والأحساب على تفريغ الأمهات للمتعة بدفع الرضعاء للمراضع »[1]، ولكن « لا ينزع الولد من أمه إذا رضيت بالإرضاع وألفها الصبى » [2] ، وذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ **لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ** ﴾ .

ولقد كان للعلماء المسلمين وقفة مع فقه الإرضاع اشتق من كتاب الله ، فعلى سبيل المثال حين نظروا فى قوله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف] ، قال ابن عباس : « إذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً » [3] .

بل أوجب الفقهاء « على الآباء أن يعطوهن ـ يعنى المطلقات ـ أجرة إرضاعهن ، وللرجل أن يستأجر امرأته للرضاع كما يستأجر أجنبية ، ولا تلزم بالرضاعة إلا أن يكون الطفل غير قابل ثدى غيرها فيلزمها حينئذ بالإرضاع وللأب أن يعطيها أجر بالمثل » [4] ، وقد فهم الفقهاء ذلك من قوله تعالى : ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾** ﴾

[الطلاق]

تعميق الإدراك بحرفة الإرضاع من خلال القصص القرآنى :

يقول تعالى فى شأن موسى عليه السلام : ﴿ **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾** ﴾ [طه] ، « وناولته ثديها فمصه وفرح به ، فقالوا لها : تقيمين عندنا ؟ فقالت : إنه لا لبن لى ولكن أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون ،فقالوا :ومن هى ؟ قالت : أمى ، فقالوا : لها لبن ؟ قالت : لبن أخى هارون وكان هارون أكبر من موسى ، فجاءت الأم فقبل ثديها » [5] . وبذلك أرجع الله موسى إلى أمه كى تقر عينها به .

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ١٩٣ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١٨ ، ص ١٦٩ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٩٧ .

وقد ذكر إرضاع موسى عليه السلام في أكثر من موضع : ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)** ﴾ [القصص] ، أى : «منعناه من الإرضاع من الأجنبيات قبل مجيء أمه وأخته » (١) ، ويستدل من ذلك أن حرفة الإرضاع من الأجنبيات كانت موجودة فى عهد موسى عليه السلام وأنهن كن يتقاضين عليها أجراً .

إن حرفة الإرضاع حرفة أساسية للحفاظ على النوع والنسل ، وهى غريزة فى الأم وضعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى قلبها لا تزول إلا يوم الفزع الأكبر : ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)** ﴾ [الحج] .

الحفر :

يقول تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)** ﴾ [الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ** ﴾ ، أى : « فإن قدرت على أن تطلب سرباً تخلص منه إلى مكان آخر » (٢) .

إن فى الآية السابقة إشارة إلى حرفة الحفر واستخدام ما دون مستوى الأرض فيما ينفع الناس ، وفيها ما يدل على معرفة العرب والمسلمين بالنفق ، واستخدامهم له .

حفر القبور :

يقول تعالى : ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)** ﴾ [المائدة] ، والمعنى : « أن الله بعث غراباً ، ليرى ابن آدم كيفية المواراة ، فصار فعل الغراب فى المواراة سنة باقية فى الخلق ، فرضا على جميع الناس على الكفاية من فعله منهم سقط فرضه عن الباقين » (٣) .

وقد احترف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفر القبور،إذ إنها من فروض الكفاية والدفن للميت فيما دون الأرض،ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)** ﴾ [التوبة] ، «عن

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٥٧ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٤١٧ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٤٣ .

أنس : إن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال : لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شباباً وشيوخاً ،يا بنى جهزونى ، فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبى بكر حتى مات،ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك فأبى ، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام فدفنوه » (١) .

صناعة السُرج :

إن المسلمين الأوائل قد استعملوا السراج الذى كان معروفاً فى العصر الإسلامى الأول ، نتبين ذلك من تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر] ، يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « جاء رجلاً بات عنده ضيف فلم يكن عنده إلا قوت صبيانه ، فقال لامرأته : نومى الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك ، فنزلت هذه الآية » (٢) .

وهذا دليل على أن المسلمين عرفوا صناعة السرج وكانوا يستخدمونه ، وإذا أردنا معرفة كيفية تشغيل السراج فلنلجأ إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب] ،حيث يقول القرطبى : « أى : وأنت يا محمد كالمصباح المضىء، ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضىء ، إذا قلَّ زيته ، ودقت فتيلته » (٣) وربما هذا دليل على أن السرج كانت تعمل بالزيت والفتيلة ، ويحتمل أن يكون المقصود بالزيت هو الكيروسين (الكاز) .

التجسس :

التجسس تعنى : « حس الأخبار،وتجسسها أى تفحص عنها ،ومنه الجاسوس » (٤) وقد أشير إلى تلك الحرفة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة]

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٢٤ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٠١ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

وتفسير هذه الآية كما سيأتى بتوضيح فى نفس الحرفة فى الباب القادم : « أن حاطب بن أبى بلتعة كان له بمكة أولاد ومال فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد ، فأمر ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم ، فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً ، فأطلع الله على ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث فى أثر المرأة فأخذ الكتاب منها » (١) .

ولقد نهى الإسلام المسلمين أن ينقلوا أخبارهم إلى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ، ونهى أن يتخذوا منهم أولياء وأصدقاء وأخلاء (٢) ، وقال العلماء « بجواز التجسس على المشركين » (٣) ،بناء على أن « الحرب خدعة » (٤) ، وقد اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمانة فلا يجوز .

وقد قال العلماء بجواز السفر منفرداً للضرورة والمصلحة التى لا تنتظم إلا بالانفراد كإرسال الجاسوس والطليعة (٥) .

الخدمة :

كانت خدمة العبيد والخدم للآخرين منتشرة قبل الإسلام ، حيث يحكى لنا القرآن الكريم عن قوم موسى فيقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)** ﴾ [البقرة] .

ويقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « إن قوم موسى قالوا : لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض ، لاستغناء كل واحد منا بنفسه وكذلك كانوا ، فهم أول من اتخذ العبيد والخدم » (٦) .

ويقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ**

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٦ .
(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٨٠ (كتاب الجهاد والسير) .
(٤) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨٣ (كتاب الجهاد والسير) .
(٥) المرجع السابق والصفحة .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المائدة] ، « قال الحسن وزيد بن أسلم : إن من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك ، وهو قول عبد الله بن عمر ، وكما فى صحيح مسلم عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألسنا فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك منزل تسكنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، قال : فإن لى خادماً ، قال : فأنت من الملوك » (١) .

إن تلك الرواية لتدل دلالة واضحة على أن المسلمين الأوائل استخدموا الخدم فى قضاء حوائجهم ، وكذلك لم يأنف الخدم من تلك المهنة ما دام الشارع الحكيم أقرها .

وقد استخدم موسى من قبل خادماً « كان معه يخدمه ويقال له : فتى ؛ لأن الفتى فى كلام العرب الشاب ، ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتياناً قيل للخادم : فتى على جهة من الأدب » (٢) ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف]، « والفتى هنا هو الخادم » (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل : ٧٢]، وقد قال مجاهد : « بنين وحفدة أى : ابن وخادم ، وقيل: إن الحفدة : الأنصار والأعوان والخدم ، وقيل الحفدة : الخدم ، والمعنى أن الله جعل لكم الأزواج والأولاد خدماً » (٤) .

نستدل مما سبق أن العرب كانوا يعرفون معنى الخادم،وقد كانت حرفة فى عهدهم ، ولمعرفة الناس بالخدم والخدمة ، ولما كان الخدم وسيلة من وسائل الراحة للإنسان ، فقد خاطب الله المؤمنين واعداً إياهم بالخدم فى الحياة الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ ﴾ [الإنسان] ، أى : « يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب » (٥) ، وقد ذكر « أن ابن الزبير لما مرض بمكة استأجر عجوزاً لتمرضه فكانت تغمز رجله وتفلى رأسه » (٦) .

والإسلام ينظر إلى حرفة الخدم على أنها حرفة شريفة لا غبار عليها ، ولا دناءة فيها ، وقد أفرد الكتانى عدة أبواب تتحدث عن الخدمة فجعل باباً فى ذكر من خدم رسول الله ﷺ ، وقد ذكر منهم أبو حمزة أنس بن مالك وهند وأسماء ابنة حارثة

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

(٢ ، ٣) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ١١ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .

(٦) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

الأسلميان وربيعة بن كعب الأسلمى ، ثم جعل باباً آخر فى ذكر من كان يخدمه عليه السلام من مواليه ، وجعل باباً فى ذكر من كان يوقظه عليه السلام إذا نام ، وباباً فى ذكر من كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجته داخل منزله، ثم باباً فى استخدامه عليه السلام فى ذلك امرأة، ثم استخدامه عليه السلام يهودياً ، وآخر فى الأشياء التى كان عليه السلام لا يكلها إلى أحد من خدمه ، وأخيراً ذكر الذين قام بخدمتهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بنفسه (١) .

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام لا يرى بأساً من الاشتغال بتلك الحرفة ؛ إذ إنها من الضروريات لكل من الفرد والمجتمع .

البريد :

هو « فى الأصل الدابة المرتبة فى الرباط ، ثم سمى به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة المشهورة » (٢) .

وكان العرب يستعملون «الإبل لنقل البريد ثم استبدلوها بالبغال ثم بالخيل لسرعتها، وكان لكل سفر بريد ، وكان أعظم مساعد على اطراد سير البريد الطويل ما بين البلاد الشاسعة ، وهذه الوظيفة كانت عندهم من الوظائف العالية التى لا يوليها إلا الخليفة نفسه ولا يتولاها إلا ذو الأهلية ، وابتدأ أول بريد عند العرب بعد الهجرة النبوية بأمر أول خليفة ، وكان يتسع باتساع فتوحاتهم التى بلغت مسافات شاسعة ، بل إن أعظم اتساع ونظام كان فى بريد العرب ، ثم فى عهد الخلفاء العباسيين حيث بلغت محطات البريد نحو ألف محطة ، وكانت تسمى عندهم بالسكك ومع هذا الاتساع كانت الأشغال سائرة بكل ذمة فى مواعيد السفر والوصول ، فقد كان لكل محطة رئيس لملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات ، وكان جميع هؤلاء الرؤساء مضطرين أن يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث فى الخطوط إلى عموم الإدارة ، وكان للبريد لائحة عمومية تحتوى على قوانين البريد فى سيره وجغرافية الطرق ، وكان ينفق على البريد مبالغ وافرة ، وقيل : إن نفقة فرع اليمن فقط كانت تبلغ نحو أربعة ملايين درهم سنوياً ، ومن ذلك يعلم قدر نفقات باقى الخطوط وما كان يبذله العرب لتنظيم البريد وقدر أهميته عندهم » (٣) .

وحرفة البريد قديمة جداً استخدمها سليمان عليه السلام ، ويبدو ذلك من قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ **اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** (٢٨) ﴾ [النمل] ، وكان قد « أرسل سليمان لبلقيس بصحيفته مع الهدهد ،

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣ ـ ٣٢ .

(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

فقرأته على الملأ وكان يدعو إلى الإسلام » [1] ، وفى هذه الآية دليل على قدم حرفة البريد وجواز إرسال الرسائل إلى الآخرين وتبليغهم بالأمور التى تهمهم ، أى : أنها تدل على جواز المخاطبة بصفة عامة .

ويوجهنا القرآن إلى حرفة البريد فى موضع آخر فيقول تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ **اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** (٢٤) ﴾ [طه] ، « وفى هذا أمر من الله لموسى بالذهاب إلى فرعون وأن يدعوه ؛ لأنه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز » [2] .

كما بعث الله موسى إلى القوم الظالمين وذلك بقوله : ﴿ **وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (١٠) ﴾ [الشعراء] ، نستدل من ذلك على أن البريد قد استعمل فى الإسلام وأقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد ، ينقل أخبار الولاة والبلاد لدار الخلافة والعكس ، وقد وجد البريد من قبل نزول رسالة الإسلام ، وإن كان قد رتب على طرق ومناهج معينة فى الإسلام .

السجان :

يقول تعالى : ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (٧٥) ﴾ [آل عمران] ، ومن هذه الآية « استدل بعض البغداديين ـ من علمائنا ـ على حبس المديان ، فإذا كان له ملازمته ومنعه من التصرف جاز حبسه » [3] .

ويقول تعالى : ﴿ **وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً** (١٥) ﴾[النساء] ، وهذا الإمساك والحبس فى البيوت كان فى صدر الإسلام قبل أن يكثر الجناة ، فلما كثروا وخشى قوتهم اتخذ لهم سجن [4] ، وقد حكى « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس فى السجون ، وقال : أحبسه حتى أعلم منه التوبة ، ولا أنفيه من بلد إلى بلد فيؤذيهم » [5] ، وكان هذا اجتهاداً من عمر بن الخطاب لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ**

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٩٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٩٢ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١١٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٨٤ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) ﴾ [المائدة] ،وقد قال مالك والكوفيون: « نفيهم سجنهم ، فينفى من سعة الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه إذا سجن فقد نفى من الأرض » (١) .

وفى هذا دليل على أن الخلفاء المسلمين كانوا يتخذون للمفسدين فى الأرض السجون ، وأن هذه السجون كانت تحتاج دائماً إلى عمال يقومون على أمرها ، وكانت مرتباتهم تدفع من قبل الدولة ابتغاء المحافظة على أمنها .

ولقد كان السجن معروفاً منذ زمن بعيد ، فحين حاج فرعون موسى وانقطعت به الحجة رجع إلى الاستعلاء والتكبر فتوعد موسى بالسجن ، وفى توعده بالسجن ضعف « روى أن سجنه كان أشد من القتل ، وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه من سجنه حتى يموت » (٢) ، ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) ﴾ [الشعراء] .

تعميق الإدراك بالسجن من خلال القصص القرآنى :

ورد ذكر السجن فى قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز ، إذ هددت امرأة العزيز يوسف بالسجن إن لم يستجب لأمرها : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) ﴾ [يوسف] ، والمعنى أن دخول السجن أحب إلى يوسف مما تدعوه إليه من الفاحشة ، ثم توالى ذكر السجن فى آيات أخرى منها : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾ [يوسف] ، ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) ﴾ [يوسف] .

ألهم الله نبيه يوسف عليه السلام تفسير رؤيا الملك ليكون جزاؤه عن ذلك إخراجه من سجنه : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) ﴾ [يوسف] .

مما سبق نستطيع القول بوجود السجن قبل الإسلام وبعده وكان البعض من الناس يقومون عليه .

صناعة الفخار :

عرف العرب صناعة الأدوات والمعدات الفخارية إذ يقول تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) ﴾ [الرحمن] ، « والصلصال : الطين الحُرّ خلط بالرمل فصار

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(يتصلصل) ، إذا جف ، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار » [1] .

تعقيب :

بعد استعراض تلك المهن والحرف فى القرآن الكريم يمكن القول بأن كتاباً مجملاً فى تشريعاته كالقرآن الكريم لا يمكن أن يتناول كل الحرف والمهن اللازمة لقيام المجتمع الإسلامى عبر العصور ، وإنما أتى بنماذج للحرف والمهن فقط ، والتى ينبغى أن تكون فى كل مجتمع ، كما ينبغى أن تنمو وتزداد كماً ونوعاً باختلاف المكان والزمان ، حتى تقابل حاجات الإنسان المتطورة والمتنوعة عبر العصور بحيث يظل المجتمع الإسلامى دائماً وأبداً مجتمع الكفاية وعدم الحاجة إلى الآخرين فى طعامه وشرابه وكسائه وكافة أمور حياته ، ولعل نظرة متأنية فى حديث القرآن عن المهن والحرف المختلفة ، نلحظ لفتات متعددة منها :

أن القرآن الكريم قد ذكر بعض المهن وتعمق فيها موضحاً جوانبها المتعددة ، بينما مر مروراً عابراً على بعض الحرف فلم تذكر إلا فى موضع واحد أو موضعين على الأكثر .

ومن أمثلة المهن التى تعمق القرآن الكريم فى ذكرها مهنة الزراعة إذ نجد أنه قد تناول جوانبها بإسهاب من حرث وبذر وسقى وحصاد وما يتبع ذلك كله من أحكام شرعية ، بالإضافة إلى ورود منتجاتها فى أكثر من موضع ، فالحرث جاءت مادته فى صورة « تحرثون » مرة واحدة فى سورة الواقعة (الآية : ٦٣) وفى صورة حرث (٩مرات) وذلك فى سورة البقرة (الآيتان ٧١ ، ٢٠٥) وآل عمران (الآيتان ١٤ ، ١١٧) والأنعام (الآيتان ١٣٦ ، ١٣٨) والأنبياء (الآية ٧٨) ، والشورى (الآية ٢٠) .

أما الزراعة فقد وردت مادتها فى عدة سور منها (تزرعون) فى سورة يوسف (الآية ١٤٧) ومرة فى سورة الواقعة (الآية ٦٤) ، (والزُّرَّاع) مرة فى سورة الفتح (الآية ٢٩) .

والسقى بمعنى رى الأرض ورد ذكرها مرتين : مرة فى سورة الرعد (الآية ٤) ، ومرة فى سورة الفرقان (الآية ٤٩) ، وذكرت فى مواضع أخرى بمعنى سقاية الإنسان والأنعام ، أما ألفاظ النبات بأنواعها المختلفة فقد ذكرت فى ٩٦ آية من بصل وثوم ، وبقل ، عدس ، الزيتون ، العنب ، الرمان . . . إلخ [2] .

وربما تعمق القرآن الكريم فى بيان مهنة كالزراعة لأهميتها ؛ ولأنها تعد أساساً لقيام

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق .

حرف وصناعات شتى ، فعليها تقوم حرفة الخبز وطحن الحبوب وكذلك الرعى ، والحلابة وبعض الصنائع مثل صناعة غزل ونسج الثياب . . . إلخ . وربما يكون ذلك لأنها الأولى فى الخليقة ، سابقة على الصناعة والتجارة .

أما حرفة صناعة الفخار فقد مر عليها القرآن مروراً سريعاً وذلك من وجهة نظر الباحث يتناسب مع أهميتها ، إذ يرى الباحث أن التحليل الكمى لبعض الحرف والمهن يؤدى بنا إلى معرفة وزنها النسبى (أى ثقلها وأهميتها) بين المهن والحرف الأخرى . فمثلاً المهنة التى تذكر فى مواضع أكثر من ذكر مهنة أخرى تعد ذات أهمية أعلى منها ، وإن كان كلاهما مهما فى عملية التقدم والعمران .

obeikandl.com